

تاريخ الإرسال (2019-10-18)، تاريخ قبول النشر (2020-04-08)

د. محمد يوسف بنات

اسم الباحث:

جامعة القدس/أبو ديس-فلسطين

اسم الجامعة والبلد:

البريد الإلكتروني للباحث المرسل:

E-mail address:

[mobanat@staff.alquds.edu](mailto:mobanat@staff.alquds.edu)

## "ظاهرة البخل في الشعر الأندلسي"؛ دراسة موضوعية وفنية"

<https://doi.org/10.33976/IUGJHR.29.1/2021/6>

### الملخص:

تناول هذا البحث ظاهرة طرقها الشعراء في مختلف العصور، وهي البخل، واقتصر البحث على دراستها في الشعر الأندلسي، وقد جاءت الدراسة الموضوعية في ستة محاور رئيسة: بخل أهل الأندلس، وأشهر البخلاء، وموقف الشعراء من البخل، وتصوير البخلاء، والحث على الإنفاق، والدعوة إلى الزهد. أما الدراسة الفنية، فجاءت في ثلاثة محاور هي: شكل القصيدة، والأغنة والأسلوب، والصورة الفنية. واعتمدت في الدراسة على المنهج التاريخي في استقصاء أعلام بخلاء الأندلس، والمنهج الوصفي التحليلي في دراسة الشعر الذي تتبعت. وقد خلص البحث إلى مجموعة من النتائج لعل أبرزها: أن معظم البخلاء كانوا من أهل الغنى واليسار من ذوي الجاه والثفوذ والسُلطان، وأن ابن عبد ربه من أكثر الشعراء الأندلسيين حديثاً عن البخل، كما أن الشعراء جاءوا بتشبيهات مبتكرة في وصف البخل والبخلاء.

كلمات مفتاحية: البخل، السخرية، البخلاء

### Misery in Andalusian Poetry: An Objective and Artistic Study

#### Abstract:

This research studied the phenomenon of "misery" which was addressed by different poets over the centuries in general. This research focused the study of this phenomenon in Andalusian poetry in particular. The study consisted of six dimensions: Misery of the people of Andalusia, most notorious misers, poets' position on misery, imagery of misery, advocacy for generosity and call for asceticism. As for the artistic aspect, it consisted of three dimensions: Poem layout, language and style and artistic imagery. The study adopted the historical method in detecting most notorious Andalusian misers. The descriptive analytical method was followed in the study of the poems. The study revealed several outcomes mainly that most misers were wealthy and influential. Ibn Abed Rabbo, a modern poet, wrote extensively about misery. They introduced several innovative similes and metaphors in depicting misery and misers.

**Keywords:** misery, sarcasm, misers.

## مقدمة:

جُبلت نفوس على الطَّمع والحرص والشُّح والبخل والتَّقْتير، وأخرى على الكرم والبذل والعطاء والسَّخاء دون حدّ، هذا وقد حارب القرآن الكريم البخل في كثير من آياته، ودعا الإنسان إلى الاقتصاد والتَّديب وعدم الإسراف، وكذلك الرُّسول الكريم، صَلَّى الله عليه وسلّم، وصفه، وأكثر من ذمّه، وعيَّبه، وحدّر منه، واستعاذ بالله منه، ولولا ضيق المقام في هذه الجزئية من البحث لأوردنا كثيرًا من الآيات الكريّمات والأحاديث الشَّريفة التي حاربت البخل ونفرت منه.

وبالنظر إلى أدبنا العربيّ نجد زاحراً بالعديد من الظواهر التي استوقفت العلماء الأفاضل، وأوردوا لها مصنّفاتٍ خاصّة، ومن بينها ظاهرة البخل التي شغلت الشعراء والأدباء، فلا يخلو ديوان شاعر من الإشارة إليها، ولا يخلو كذلك كتاب أدبيّ أو مجموع من الإشارة إلى طرفة أو نادرة تتعلّق بأخبار البُخلاء وحكاياتهم، كما أفرد بعضهم فصلاً كاملاً عن البخل على نحو ما فعل ابن الرُّكن (ت 803هـ) في "بهجة السُّرور في غرائب المنظوم والمنثور".

وعند البحث في قديميّة الكتب الموضوعية في هذا الباب نجد أنّ أبا عبيدة معمر بن المثنى (ت 209هـ) الذي عُرف بشعوبيّته، فألف "مثالب العرب" وعاب فيه عليهم بخلهم من ضمن ما عاب، وكذلك سهل بن هارون (ت 215هـ) الذي كان في نهاية البخل ووضع رسالة فيه، وكان الأصمعيّ (ت 216هـ) بخیلاً، وجمع أحاديث البُخلاء، وتحدّث بها، وأوصى بها ولده. ولا تفوتنا الإشارة إلى الجاحظ (ت 256هـ) الذي ألف كتاباً مستقلاً فيه وأطلق عليه "البخلاء"، وكتاب الخطيب البغداديّ (ت 463هـ) الذي حمل الاسم ذاته.

ومن خلال تقليب المصادر الأدبيّة والتَّاريخيّة المتعلّقة بموضوع الدِّراسة، وجد الباحث أنّ البُخلاء كانوا من الأغنياء الأثرياء، وقد غلب عليهم البخل والتَّقْتير، والمماطلة في الوعد، ولذا ثارت ثائرة الشعراء فاتَّخذوا من سُجّهم وأفعالهم مادةً شكّلوا من خلالها نماذج مُتعدّدة للبُخلاء، وكشفت النماذج المُنتخبة عن فكاهاة ساخرة، وصور بديعة لا تخلو من طرافة، وأبانت عن جانب من الظواهر الاجتماعيّة التي كانت سائدة في الأندلس على اختلاف الحقب والعصور.

وأشار ابن بسّام غير مرّة إلى بخل الأغنياء الذين أفنوا أعمارهم في جمع المال، ومنعوا النَّاس خيرهم، وكُلّ من جاءهم مادحاً آملاً في العطاء، غير أنّ ذلك لا يهزّم ولا يؤثر فيهم شيئاً. يقول: "وأصعب من هذا تحريك البُخلاء من الكبرياء إلى البذل؛ لأنّهم بعادتهم لا تُمكن نُقلتهم لعزّتهم، ولما اشتملت عليه ثيابُ مجدّهم، ولا ينجعُ تقيّظهم، فما هنا يُحتاجُ إلى أنْتب ما يكون من الذّهن، وأوسع ما يُمكن من الحيلة، إلا أنّ هذه العصابة لا يتمكّن لذي النِّفاهة تحريكها"(1).

وفي موضع آخر أثبت صاحب الدُّخيرة فصلاً من نثر ابن شرف القَيْرَوانيّ (ت 460هـ) الوافد على الأندلس في ذكر الذّمّ والنَّقْص جاء فيه: "يجود الجلود، ولا يجود، ويعود إلى إثمارة يابس العود، وهو لا يُبدي ولا يُعيد. كيشه مغلق، وبنائه مُطبق، وداره سَمَلَق [مُفْتَرَة]، وجيشه مُمَلَق، وميزانه حبيس لا يُطلق، كفتاه ككفّيه لا تُذبيهما النَّار، ولا يعرفان الدِّرهم ولا الدِّينار، وأكياسه كالنَّقْد، قد خنقها العُقد، يده حافرٌ وقاح، وقُفله ليس له مِفْتاح. تمرُّ الأيّام ولا يُشْم له طعام. لو ملك طوفان نوح، لم يسمح منه بشربة لظمان مجروح"(2).

لعلّ هذا التّوصيف وإن كان فيه شيء من المبالغة ينطبق على كثير من النَّاس الذين استولى عليهم الحرص، وغلب عليهم الشُّح والبخل، واتَّصفوا بسّمات المنع، وأقبلوا على جمع المال، فتلقّفوا الدِّراهم التي تناولتها الأكف، ولمستها أيدي آلاف العباد، لتستقرّ في أكياسهم وخزائن أموالهم. وهذا النّوع من النَّاس مشهور، وسره ذائع منشور، كيف لا وقد حرم نفسه وأهل بيته من

ملذات الحياة، وألصق بنفسه من الصفات التي لا تكون إلا في الجماد، وآثر الإمساك والتقتير، وأطبق أصابعه على كفيته تمسكاً بالحياة وحباً لها، ومنع يده أن تطلق لخير أو إحسان، فهذه مذمة ما بعدها مذمة، ومنقصة ما بعدها منقصة.

### الدراسة الموضوعية

#### أولاً-بخل أهل الأندلس بصورة عامة

ثمّة إشارتان تدلّان على أنّ صفة البخل كانت متأصلة لدى الأندلسيين بعامة، الأولى ذكرها المقرئ نقلًا عن ابن سعيد (ت685هـ) في حديثه عن صفة أهل الأندلس فقال: "وهم أهل احتياط وتدابير في المعاش وحفظ لما في أيديهم خوف ذلّ السؤال، فذلك قد يُنسبون للبخل" (3).

والثانية جاءت على هيئة قصة طريفة وقعت له مع أبيه حينما مرّا بقرية من قرى الأندلس، ولا تخلو من مظاهر الاحتياط والتدابير، وإن كانت في أصلها تدلّ على البخل، فقال: "ولقد اجتزت مع والدي على قرية من قرأها، وقد نال منا البرد والمطر أشدّ النيل، فأوينا إليها، وكنا على حال ترطب من السلطان وخلو من الرقاهية، فنزلنا في بيت شيخ من أهلها، من غير معرفة متقدمة، فقال لنا: إن كان عندكم ما اشتري لكم فحماً تسخنون به فإني أمضي في حوائجكم، وأجعل عيالي يقومون بشأنكم، فأعطيناه ما اشتري به فحماً، فأضرم ناراً، ف جاء ابن له صغير ليصطلي، فضربه، فقال له والدي: لم ضربته؟ فقال: يتعلم استغنام مال الناس، والضجر للبرد من الصغر، ثمّ لما جاء النوم قال لابنه: أعط هذا الشاب كساءك الغليظة يزيداها على ثيابه، فدفعت كساءه إليّ، ولما قمنا عند الصباح وجدت الصبي منتبهاً ويده في الكساء، فقلت ذلك لوالدي، فقال: هذه مروءات أهل الأندلس، وهذا احتياطهم، أعطاك الكساء وفضلك على نفسه، ثم أفكر في أنك غريب لا يعرف هل أنت ثقة أو لص، فلم يطب له منام حتى يأخذ كساءه خوفاً من انفصالك بها وهو نائم، وعلى هذا الشيء الحقير فقسي الشيء الجليل" (4).

#### ثانياً- أشهر بخلاء الأندلس

من الأخبار التي رواها صاحب "الدخيرة" عن بخل ملوك الطوائف، ذلك الخبر الذي يتعلّق بإسماعيل بن ذي النون الملقّب بالظافر، فقد كان مقترراً شديد البخل، مُمسكاً يده، ولم ينل منه أحدٌ ممّن قصده شيئاً، يقول ابن بسّام: "وكان فلان من البخل بالمال، والكلف بالإمساك، والتقتير في الإنفاق، بمنزلة بدّ فيها ملوك عصره. لم يرغب قطّ في صنّعة، ولا سارع إلى حسنة، ولا جاد بمعروف، فما أعلمت إلى حضرته مطيّة، ولا عرّج إليه أديب ولا شاعر، ولا امتدحه ناظم ولا ناثر، ولا حظي أحدٌ منهم بطائل، ولا استخرج منه درهم في حقّ ولا باطل، فأصبح في اللّوم قريع دهره، وفريد عصره، لا يعدّله فيه ملك ولا سوقة" (5).

وقد تعرّض أبو مروان عبد الملك بن غصن لهجائه، فقال (6):

تَلَقَّبَتْ بِالْمَأْمُونِ ظَلَمًا وَإِنِّي	لَأَمِنَ كَلْبًا حَيْثُ نُسْتُ مُؤْمِنًا
حَرَامٌ عَلَيْهِ أَنْ يُجْوَدَ بِبِشْرِهِ	وَأَمَّا النَّدَى فَأَنْدُبُ هُنَالِكَ مَذْفَنًا
سُطُورُ الْمَخَازِي دُونَ أَبْوَابِ قَصْرِهِ	بِحُجَابِهِ لِلْقَاصِدِينَ مُعَوَّنًا

تكشف الأبيات عن هجاء لاذع للمهجو واصفًا إيّاه بالبخل، فلا يستحقّ اللقب الذي تلّقب به، كما أنّه لا يثق به ولا يأمن جانبه، فمن شيمه الغدر والخيانة وعدم الوفاء، وقد عبّر عن عدم الوثوق به بأن اختار الكلب صديقًا ورفيقًا أمّا هو فلا، وأمّعن في هجائه بالقول إنّه لا يبشّ في وجوه النَّاس فهو دائم العيوس ولا يظهر السرور لمن يأتي إليه، وبالغ في الإشارة إلى بخله بأن قبر الندى والكرم في دولته من زمن بعيد، ولذا وصف دولته بالخزي والعار، وجعل عنوانها حُجَابِ القصر الذين سَطَرُوا لوحة من

الأعمال التي تُوصف بالمخازي والعار والشنار؛ لأنهم غلاظ أشخاء مثله إذ أوصدوا أبواب القصر وفي وجوه الغفاة، ولم يسمحو لأحد بالدخول إليه دون إذن من صاحبه الذي اشتهر ببخله وشخه.

وفي معرض حديث ابن بسام عن الوزير الكاتب أبي جعفر أحمد بن عباس (ت427هـ)، ذكر أنه بدأ أهل زمانه في أربعة أشياء: المال، والعجب، والبخل: حتى لو أن الجاحظ رآه ما ضرب في البخل مثلاً، ولا ذكر في رسالته رجالاً. أمّا الزبيلة فهي شهرته بالكتابة (7). وقد رمى الأديب أبو جعفر بن النبي قوماً من بني يوسف بن تاشفين بالبخل، ومدح منهم رجلين وهما القاضي أبو الوليد هشام وأخوه علي، فما في هؤلاء القوم من يسعى لمكرمة أو عطاء غيرهما، وأمّا سواهما فمعرفون باللؤم، وقد ضرب مثلاً دالاً على مصداق ما ذهب إليه وهو اجتماع صفات الحُسن والقبح في الشيء نفسه كالورد الذي يجمع بين الرقة واللينة وحسن المنظر من ناحية، والشوك الجارح المؤذي من ناحية أخرى، ولا عجب في اجتماع هاتين الخصلتين في الشيء ذاته، يقول (8):

مَا فِي بَنِي يُوسُفٍ سَاعٍ لِمَكْرَمَةٍ      سَوَاكٍ أَوْ صِنُوكِ الْعَالِي أَبِي الْحَسَنِ  
كُرْمَتُهَا وَاعْتَدَى بِاللُّؤْمِ غَيْرُكُمْ مَا      وَالشُّوْكَ وَالْوَرْدُ مُوجُودَانِ فِي غُصْنِ

وفي مقطوعة أخرى عرّض شاعر آخر بالمرابطين بعامّة، جامعاً بين المدح والهجاء، فوصفهم بأنهم بخلاء في عطائهم، غير أنهم لا يبخلون على عيالهم وأهل بيتهم، وهجا كذلك قبح منظرهم وسواد وجوههم، ولذا فإنهم يتلثمون خوفاً من رؤية الناس لهم بذلك المنظر القبيح، وهذا اللقب أيضاً غلب عليهم، فأطلق عليهم الملثمون، واللمتونيون لأنهم سود البشرة، أو كما قيل لأنهم غلب عليهم الحياء. فقال هاجياً (9):

إِنَّ الْمُرَابِطَ بِأَخِيلٍ بِنَوَالِهِ      نَكَرْتُهُ بِعِيَالِهِ يَتَكَرَّمُ  
الْوَجْهَ مِنْهُ مُخَالِقٌ لِقَبِيحِ مَا      يَأْتِيهِ فَهُوَ مِنْ أَجْلِهِ يَتَلْتَمُّ

وكان أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله ابن أبي مضر الطنبلي (ت427هـ) من أبخل أهل الأندلس فذكر ابن حيان: أن جواربه قتلته لتقثيره عليهن. وقد وصفه كذلك الجباري بالبخل المفرط، مشيراً إلى أنه كان يترك أهل داره يأكلن الخبز بلا إدام، فإذا طلبوا الإدام حرّده عليهن، وقال: "هذه عادة سوء، فخنقوه" (10).

ولم يتورّع الشعراء عن ذمّ بخل بعض الأسر المعروفة في الأندلس، كأسرة بني سعيد التي برز فيها أعلام الشعراء والأدباء والكتّاب والعلماء، وكان لهم دور بارز في الرياسة بغرناطة، وفوق كل هذا وذاك فهي أسرة مشهورة بالعرف والرفعة والسيادة، وقد ورثوا ذلك المجد كابرًا عن كابر، فلم تسلم هذه الأسرة من أذى لسان هجاء الأندلس أبي بكر المخزومي الشهير بالأعمى الذي عاشهم وأحسنوا إليه كثيرًا، وعرف طباعهم وكرمهم وفضلهم، وعلى الرغم من ذلك فكان يُقابل كل شيء بسوء الظن، وهذا ما دفعه إلى هجائهم، ووصف ما فيهم من نقص وعيب، حينما سألوه عن موعد الرحيل، فانبرى لسانه السليط للتعريض بهم، وبعثهم بسوء الخصال، فهم يلبسون دثار البخل، وهم أبعد ما يكونون عن الكرم والجود، وجلّ مصيبتهم حينما يفد عليهم زائر، وقمة سرورهم حينما يرحل عنهم من يُحرم من نوالهم، ولم ينلّ منهم ما طلب. وفي ذلك يقول هاجياً أسرة بني سعيد (11):

لَا تَرَجُؤَنَّ بَنِي سَعِيدٍ لِلنَّادِي      فَانظُرْ أَفِيدُ مِنْهُمْ لِلسَّائِلِ  
فَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى مَنَازِلِهِمْ فَمَا      أَبْصَرْتُ مِنْهَا غَيْرَ بُعْدِ مَنَازِلِ  
قَوْمٍ مُصِيبَتُهُمْ بِطَاعَةٍ وَافِدِ      وَسُرُورُهُمْ أَبَدًا بِخَيْبَةِ رَاجِلِ

وله فيهم -بنو سعيد- مقطوعة أخرى لا تخلو من هجاء لاذع، ولؤم في الطباع، ونكران للجميل، فهذه الأسرة لا تستحق الهجاء ممن أنزلته بجوارها، وأسكنته بدارها، وأحسنت إليه ولكل من وفد إليها وزارها. وهذا ما أشار إليه ابن سعيد حينما أن جدّه عبد الملك أكرمه وأحسن معاملته وقربّه إليه(12).

ولم يكتف ابن عبد ربّه (ت328هـ) بالتعريض بأبناء الزمان من ذوي الجاه والمال، بل أخذ يلاحق أقرب الأقربين إليه، فابن أخيه سعيد مشهور بالبخل، وقد نقل لنا صاعد الأندلسي خبر سعيد بن عبد الرحمن ابن محمّد بن عبد ربّه "أنّه قصده يوماً، فبعث إلى عمّه أحمد بن عبد ربّه، فلم يجبه عمّه إلى ذلك، فكتب إليه(13):

لَمَّا عَدِمْتُ مُؤْنَسَا وَجَلِيَسَا      نَادَمْتُ بُقْرَاطَا وَجَالِيُونَسَا  
وَجَعَلْتُ كُتْبَهُمَا شِفَاءً تَفْرُدِي      وَهَمَّ الشِّقْفَاءُ لِكُلِّ جَرِحِ يُوسَى

فلما وصل البيتان إلى عمّه أجابه بأبيات منها:

أَلْفَيْتَ بُقْرَاطَا وَجَالِيُونَسَا      لَا يَأْمُلَانِ وَيَزْرَانِ جَلِيَسَا  
فَجَعَلَتْهُمُ دُونَ الْأَقْرَابِ جُزْءَةً      وَرَضِيَتْ مِنْهُمْ صَاحِبًا وَأَنْيَسَا  
وَأظُنُّ بُخْلَكَ لَا يُرَى لَكَ تَارِكًا      حَتَّى تُنَادِمَ بَعْدَهُمْ إِبْلِيَسَا

فهذه الأبيات تعرض للخلاء من الأقارب، وتكشف عن الأسباب في انقطاع الصلة بينهم في كثير من الأحيان، ومرّد هذا كما تخبرنا المقطوعة يعود إلى بخل سعيد الذي انقطع عن الناس متفرّدًا لقراءة ما كتّب الطّبيبان بقراط وجالينوس من كُتُبٍ، غير أنّ هذا غير صحيح، وإنّما الذي دعاه إلى ذلك هو البخل على نحو ما يظهر في البيت الثالث، وما من شك في أنّ البخل سيدفعه إلى مُصاحبة إبليس، ولهذا فإنّ صفة البخل المتأصلة في نفسه هي التي أذهبت عن الجليس والصّاحب والأنيس، وأبعدت عنه كذلك القريب.

ومن أعجب القصص التي تدلّ على البخل وأغربها، تلك التي نقلها صاحب "المُطرب" حول ما جرى لابن عبد ربّه مع الكاتب أبي حفص عمر بن قلهيل في التسمّع على جاريته "مصابيح"، قال: اتفق أن اجتاز أحمد بن عبد ربّه بدار أبي حفص عشية ففرغ سمعه من طيب الغناء ما استوقفه، وأراد الدنو من الباب. وقيل: إنّه صبّ عليه من العليّة ماء بلّ ثيابه، فلم يردعه ذلك عن طلب الازدياد في السماع، فعدل إلى مسجد بقرب الدار. وسأل المعلم فيه أن يأتيه بدواة وبياض يكتب فيه فجاه بهما، فكتب إلى ابن قلهيل رقعة فيها(14):

يَا مَنْ يَضُنُّ بِصَوْتِ الطَّائِرِ الْغَرْدِ      مَا كُنْتُ أَحْسَبُ هَذَا الْبُخْلَ مِنْ أَحَدٍ  
لَوْ أَنَّ أَسْمَاعَ أَهْلِ الْأَرْضِ قَاطَبَةٌ      أَصَغَتْ إِلَى الصَّوْتِ لَمْ يَنْقُصْ وَلَمْ يَزِدْ  
لَوْ لَا اتِّقَائِي شَهَابًا مِنْكَ يُحْرِقُنِي      بِنَارِهِ لَأَسْتَرَقْتُ السَّمْعَ مِنْ بَعْدِ  
لَوْ كَانَ زُرِيَابُ حَيًّا ثَمَّ أَسْمَعُهُ      لَمَاتَ مِنْ حَسَدٍ أَوْ ذَابَ مِنْ كَمَدِ  
فَلَا تَضِنَّنَّ عَلَيَّ سَمْعِي ثَقَلِدُهُ      صَوْتًا يَجُولُ مَجَالَ الرُّوحِ فِي الْجَسَدِ

فهذه القصّة تكشف لنا موقفًا آخر من مواقف البخل، وهو أنّ بعضهم يبخل على الآخرين بأبسط الأشياء، ولو كان الأمر بيده لمنعهم من الحق في السماع، فرش الماء على ابن عبد ربّه يُمثّل أقصى درجات السلب والمنع من أبسط الحقوق، وما الأبيات

التي ذكرها الشاعر إلا تعبيراً عن رفضٍ مطلق واحتجاجٍ صارخ على هذا الفعل، فما من أحدٍ يستطيع منع الآخرين من سماع أصوات الطيور المغردة التي تُصدر أصواتها المترتمة لتُدخل السرور في النفس، ولا الأزهار الفواحة التي تنشر عبقها كلما هبّ النسيم، وقد عبّر الشاعر عن ذلك الاحتجاج بصيغة النفي المطلق الذي لا يمكن أن يكون موجوداً عند أحدٍ من الناس، وإن كانت الجارية ملكاً له فليس له الحق في احتكار صوتها لنفسه، فمن حق الآخرين الاستماع إليها والإعجاب بحسن صوتها الذي أحبه الشاعر وافتتن بها، مشيراً إلى أن سماع أهل الأرض قاطبة لصوتها الجميل لن يزيد أو ينقص منه شيئاً.

وبدا ابن الحداد (ت480هـ) ناقماً على بخيل آخر من الملوك وهو المعتصم بن صمادح، فأخذ يُشهر به ويتهمه بالبخل

بعد أن ساءت العلاقة بينهما، فقال (15):

يَا طَالِبَ الْمَعْرُوفِ دُونَكَ فَاتْرُكْ      دَارَ الْمَرْيَةِ وَأَرْفُضِ ابْنَ صَمَادِحِ  
رَجُلٌ إِذَا أَعْطَاكَ حَبَّةَ خَزْدَلٍ      أَلْقَاكَ فِي قَيْدِ الْأَسِيرِ الطَّاحِ  
لَوْ قَدْ مَضَى أَنَّكَ عُمُرُ نُوحٍ عِنْدَهُ      لَا فَرَقَ بَيْنَكَ وَالْبَعِيدِ النَّازِحِ

تكشف هذه الأبيات عن تعريض صريح بأمير المريّة، فيطلب الشاعر ممن يفكر في طلب المعروف منه أن يبادر في الرحيل عنه وعن قصره المعروف بـ "دار المريّة"؛ لأن صاحبها رجل بخيل قليل العطاء كثير المنّ، لا يعرف الكرم ولم يسمع به، فحال من نزل بقربه بحال الأسير الموشك على الهلاك، ولو أمضى الإنسان دهره عنده فلن ينل منه شيئاً، وقد بالغ الشاعر في التّيسيس من الحصول على نداءه حينما قرن بقاء المرء بفنائمه رغبة في الحصول على نواله بعمر نوح -عليه السلام- فالقريب والبعيد عنده صنوان في العطاء، وما من شك أن هذه الأبيات أغضبت المعتصم وأغاظته كثيراً، فحنق عليه وأبعده، وهذا ما دفع الشاعر إلى الفرار منه طلباً للنّجاة.

ثالثاً- موقف الشعراء من البخل والتّحذير منه

تعرّض الشعراء للبخلاء بعامة غير أن أكثرهم تناولوا هم أصحاب الشّان من الرّؤساء والأثرياء؛ وذلك لأنّ البخل يجتمع مع المال، وبالتالي فإنّ أصحاب المال والثروة غالباً ما يكونون من الخاصّة من الملوك والمسؤولين والأثرياء.

وقد وقف عددٌ من شعراء الأندلس موقفاً معادياً من البخل والبخلاء وما اتّصفوا به من منع، فهذا أبو الحسن جعفر بن إبراهيم بن الحاجّ اللّريقي يدعو إلى التّرحيب بالضيّف وعدم الإزراء به، فمن طبعه أن يهشّ لحظه قدوم الضّيّف، مبيّناً أنّ رزقه يأتي معه، فلا بدّ من إكرامه والإحسان إليه، فهو بمثابة شاعر يقوم بمدح من أحسن إليه وأكرم نزله، وكلّما حلّ بمكان أشار إلى الإكرام والإحسان الذي لاقاه لدى مضيفه، وبهذا ينال شهرة واسعة في الأفاق، بحيث يُشير إلى حسن الصّنيع، وجميل التّرحاب، وكثرة الكرم. يقول (16):

إِذَا كَانَ يُزْرِي كُلُّ ضَيْفٍ بِضَيْفِهِ      فَإِنِّي بِضَيْفِي حِينَ يَفْدِمُ أَفْرَحُ  
وَذَاكَ لِأَنَّ الضَّيْفَ يَأْتِي بِرِزْقِهِ      فَإِذَا كُنْتُ عِنْدِي وَيَمْضِي فَيَنْدَحُ

وتتكرّر المعاني نفسها في مقطوعة أخرى له، وفيها يتعجب ممن يطلبُ شكراً على شيء يُحمد عليه مع ما فيه من منع، فالذي يُعطي يُمدح، والذي يمنح يُهجو ويُذم. وبناء عليه فمن يتطلّع إلى المجد لا بدّ أن يبسط يديه في البذل حتّى تتحقّق آماله المعقودة وأمانيه المنشودة، وهذا ما دفعه لأن يُحبّ ضيفه أبداً؛ لأنّه سيلقى بعد ذلك شكراً وثناءً منه ما عاش (17).

عَجَبًا لِمَنْ طَلَبَ الْمَخَا  
وَلِبَاسِ طِ أَمَا لِي  
لِي لَمْ لَا أَحِبُّ الضَّيْفَ أَوْ  
وَالضَّيْفَ يَأْكُلُ رِزْقَهُ  
مَدَّ وَهُوَ يَمْنَعُ مَا لَدَيْهِ  
فِي الْمَجْدِ لَمْ يَبْسُطْ يَدَيْهِ  
أَرْتَاخَ مِنْ طَرَبِ إِلَيْهِ  
عُنْدِي وَيَشْكُرُنِي عَلَيْهِ

ويستكر الشاعر ذاته موقف زوجته التي تفضّل البخل على البذل، فقد أخذت تلومه على إفراطه في العطاء، إذ غير ذلك حاله وقاده إلى ضيق العيش وشدّته بعد أن كان مترفاً يحيا حياة رغيدة، وقد جاء جوابه مُسكّناً مُبَيِّناً أنّ البذل طبع جبل عليه منذ أن خلق، وهذا أمر مستحيل أن يتغيّر أو يتبدّل، وقد أحسن التمثيل عبر المقارنة بين ماله الذي أفناه وبدّده في الخير رغبة في إعلاء شأنه، فكان كما النخل الذي تولّاه صاحبه بالناية والإصلاح وحسن المعالجة، فسرعان ما طالت واستطالت وأخذت تصعد في علو وارتفاع، وهذه حاله في طلاب المجد وبذل المال. قال (18):

طَفَقْتُ تُؤْتِبُنِي عَلَى الْبَذْلِ  
فَقَدْ أَصْبَحَ الْبُخْلَاءُ فِي شَرْفٍ  
هِيَ شَيْمَةٌ مِمَّا جُبِئْتُ بِهِ  
نَشِبُ أَبَدُهُ فَيَرْفَعُنِي  
وَتَقُولُ: نِعْمَ سَجِيَّةُ الْبُخْلِ  
وَبَقِيَتْ فِي شِظْفٍ وَفِي أَرْزِ  
وَالطَّبْعُ لَيْسَ بِمُمْكِنِ النَّقْلِ  
كَالنَّخْلِ تَأْبُرُهُ وَيَسْتَعْلِي

وقال أبو عثمان سعد بن أحمد التجيبي الأندلسي مُحَدِّراً من البخل (19):

إِحْدَرُ الْبُخْلُ إِنَّهُ شَرُّ خُلُقٍ  
مَنْ يَجْدُ غَيْرَ مُسْرِفٍ فَهُوَ فِي النَّاسِ  
يَتَحَالَى بِهِ وَشَرُّ طَرِيقَةٍ  
سِ مَوْفَى تُنْبِي عَلَيْهِ الْخَيْقَةِ

فالشاعر يذمّ البخل ويحذر الناس منه، ويعده من الأمور التي تنقص مقدار الإنسان ومنزلته في المجتمع، ويعتبره شرّ صفة لديه، وأقبح طريقة في نهج الحياة، ويقرن ذلك بصفة ضديّة تتمثّل في الإنفاق والكرم، وهي صفة محبوبة يتفاخر بها الناس، وفيها يتسابقون رغبة في نوال الرضا والتناء والشهرة بين العباد. وغالباً من يقابلون صاحب الأولى بالهزاء والتشهير والاحتقار. وقد حدّر ابن ليون التجيبي (ت750هـ) في دعوته إلى ضرورة التحلي بفضائل الأخلاق عبر الحكمة التي أطلقها وذهبت مثلاً في التحذير من الصّياح والخسران الذي يقود إلى الإضرار بحياة المرء، وحصرها الشاعر في ثلاث خصال تؤدّي إلى الهلاك، وهي: هوى النّفس الذي يأسر الإنسان ويخضعه لقيده، كما أنّ هذا الهوى يلحق الأذى بالنّفس ويدفعها إلى الشّح والامتناع عن المشاركة في أعمال الخير، أمّا الخصلة الثالثة فهي العجب والزّهو بالنّفس والتكبر والغرور والتّعالي على الآخرين. يقول مُحَدِّراً منها جميعاً (20):

ثَلَاثُ مُهْلَكَاتٍ لَا مَخَالَاةَ:  
وَشُحٌّ لَا يَزَالُ يُطَاعُ دَائِبًا  
هُوَ نَفْسٍ يَقُودُ إِلَى الْبَطَالَةِ  
وَعُجْبٌ ظَاهِرٌ فِي كُلِّ حَالَةٍ

ومن جميل ما قيل في الحبّ على إنفاق المال، وذمّ الحرص وجمع المال خوف حوادث الرّمن قول ابن سارة

الشّنتريني (21):

اسْعُدْ بِمَالِكَ فِي الْحَيَاةِ وَلَا تَكُنْ  
تُبْقِي عَلَيْهِ حِدَارٌ فَفَقْرٍ حَادِثٍ

## فَالْبُخْلُ بَيْنَ الْخَادِثِينَ وَإِنَّمَا "مَالُ الْبَخِيلِ لِحَادِثٍ أَوْ وَارِثٍ"

فقد أجاد الشّاعر في الدّعوة إلى إنفاق المال في وجوه الخير، مستعيناً بقول الإمام عليّ رضي الله عنه-: "بشّر مال البخيل بحادث أو وارث" (22). ولذا جاءت البشارة بمعنى الإنذار والوعيد، فمن لم ينفق ماله في الخير اختياراً فلا بدّ أن يهلك بوحدة من اثنتين: إما أن يتعرّض للحرق أو التّلف أو الغرض أو الضّياح فيضيع سُدّى، وإما أن يبقى لورثته بعد موته فينهبونه ويتسلّطون على نهبه ويسعدون بماله منه.

وقال ذو الرّياستين أبو مروان عبد الملك بن رزين (ت496هـ) مفتخرًا ببذله (23):

مَنْ كَتَّرَ الْجُبْنَ رَأَى سَعْدَهُ      يَصْعَدُ حَتَّى يَنْتَهِيَ حَادَهُ  
وَمَنْ أَدَلَّ الْمَالَ عَزَّتْ بِهِ      أَيَامُهُ وَأَنْصَرَفَتْ جُنْدَهُ  
فَاهْدِمِ بِنَاءَ الْبُخْلِ وَارْفُضْ بِهِ      مَنْ هَدَّمَ الْبُخْلُ بَنَى مَجْدَهُ  
لَا عَاشَ إِلَّا جَائِعًا نَائِعًا      مَنْ عَاشَ فِي أَمْوَالِهِ وَخَدَهُ

تكشف الأبيات عن رفض مُطلق للبخل، وقد اعتمد الشّاعر على ضرب الأمثال لمن الوصول إلى المجد والعلو والرفعة، فالسّعد لا يتحقّق إلاّ بكثرّة الجند التي تقود إلى الانتصار، والعزّة لا تكون إلاّ بإفناء المال، والمجد لا يكون إلاّ برفض البخل، ولذا يوجّه الشّاعر دعوة إلى هدم البخل كي يُبنى المجد بمعاول قويّة وعلى أسس متينة، وعليه فإنّ البخيل يبقى جائعًا نائعًا عطشان من فرط بخله وتقيّره، وحرصه على ماله. ومن المعروف أنّ الشّعراء كانوا يتكسّبون بشعرهم رغبة في الحصول على النّوال إلاّ أنّهم كانوا يعانون الدّلّ والهوان، إذ إنّ النّاس لا يُقدّرونهم ولا يثيبونهم على مدّحهم، وهذا ما دعا بعض الشّعراء إلى الشّكوى من بخل النّاس، والإشارة إلى عدم سخائهم وجودهم، ومن ذلك قول محمد بن شخيص في دم البخل (24):

قَسَتْ بِالشِّعْرِ مَعْشَرًا فَإِذَا هُمْ      صَوَّرَ الْإِنْسَ فِي طَبَاعِ الْحَمِيرِ  
كَلَّمَا جُبْتُهُمْ لِأُنْشِدَ شِعْرِي      طَمَعًا مِنْ نَوَالِهِمْ بِالنِّسِيرِ  
فَكَأَنِّي وَضَعْتُ فَأَكَّةَ بُوقٍ      فِي فَمِي أَوْ صَغَطْتُ أَنْبُوبَ كِيرِ

فهذه الصّورة تشير إلى هوان منزلة الشّعراء الذين انطلقوا مادحين أملًا في الحصول على النّزر اليسير من العطاء، وتعبّر عن انقطاع الأمل والرّجاء في الحصول على النّوال، وتُصوّر بخل النّاس وقبح طباعهم، فهي رديئة قريبة من طباع الحمير، وتُظهر الصّورتان السّميّة والحركيّة في البيت الثالث مشهدًا ساخرًا من أولئك القوم فهو أشبه ما يكون بالزّامر الذي رغب النّاس عنه سماع صوته وجعلوا أصابعهم في آذانهم، أو بنافخ الكير الذي يتولّى النّاس هربًا منه حتّى لا تتسخ ثيابهم، وهذا البيت يشعر بأنّ الشّاعر منبوذ من هؤلاء القوم الذين جُبلوا على لؤم الطّبع وسوء الخلق.

وهذا ابن الأّبّار (ت658هـ) يتّخذ موقفًا صارمًا من البخيل، فلا يرتضيه صديقًا، وإنّ أوصله ذلك إلى أعلى مراتب الغنى،

فلا شيء أجمل من القناعة، منبّهًا على أنّ ما يفعله البخيل سيكون سيصبح هباءً منثورًا بعدما تفيض نفسه. قال (25):

لَا أَرْضِي الْبَاخِلَ خِلًا وَإِنْ      أَحَلَّه الْإِنْسَارُ فِي ذُرْوَتِهِ  
دَعَاهُ يُكَاتِرُ بِالنَّوَالِ النَّوِي      قَنَاعَتِي أَكْثَرُ مِنْ ثُرْوَتِهِ



وكشف الشعراء عن شكوى مريرة وعميق حزن بسبب قلّة عطاء الممدوحين، وبخاصّة إذا ما كانوا من ذوي الفضل والرياسة، فهذا الأديب يحيى السرقسطي المعروف بالجرّار (ت450هـ) يقرّر العودة إلى مهنة الجزارة بعد أن أيقن أنّ امتهان الشعر لا يجدي نفعًا ولا طائل منه، وتكشف الأبيات التي بين أيدينا عن نفس حزينة كئيبة ضاقت بها الدنيا عندما أمر الحاجب ابن هُود أبا الفضل بن حسداي أن يوبّخه على صنيعه، فكتب إليه مراجعًا كاشفًا السبب، وقد عزا ذلك إلى البخل الذي استولى على الناس الذين أبدوا نفورًا من الشعراء بسبب بخلهم. فقال(26):

تَعْيِبُ عَلَيَّ مَأْلُوفَ الْقِصَابَةِ      وَمَنْ لَمْ يَدْرِ قَدْرَ الشَّيْءِ غَابَهُ  
أَبَا الْفَضْلِ الْوَزِيرِ أَجِبْ نِدَائِي      وَقَضَاكَ ضَامِنٌ عَنْكَ الْإِجَابَهُ  
وَإِضْفَاءً إِلَيَّ شَكْوَى شَكُورٍ      أَطْلُتْ عَلَى صِنَاعَتِهِ عِتَابَهُ  
وَحَقِّكَ مَا تَرَكْتُ الشُّعْرَ حَتَّى      رَأَيْتُ الْبُخْلَ قَدْ أَوْصَى صِحَابَهُ  
وَحَتَّى زُرْتُ مُشْتَاقًا خَلِيلِي      فَأَبْدَى لِي التَّخْيِيلَ وَالكَآبَةَ  
وَهَلْ زِيَارَتِي لِطَلَابِ شَيْءٍ      فَتَأْفَرَنِي وَغَلِظَ لِي حِجَابَهُ

وشكا ابن عبد ربه من حرمان النوال، ويبدو أنّ أغلب الممدوحين كانوا يفتقرون إلى صفة العطاء التي طمع فيها الشعراء، تأمل معي قوله في ذم الفقر الذي أدركه وألمّ به، وكذلك البخل الذي حبس عنه الجدا، لربّما تعود علّة ذلك إلى الطمع، فعوقب بالحرمان نظرًا لعدم قناعته بنصيبه المقسوم، وليس غريبًا أن يمنع البخيل الناس ماله، وليس بمستغرب أن يبذل صاحب الفضل المال رغبة في الكرم والعطاء (27).

فَزَرْتُ مِنَ الْفَقْرِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي      إِلَى بُخْلِ مَحْظُورِ النَّوَالِ مُنْوعٍ  
فَأَعْقَبَنِي الْحِرْمَانَ غِيبَ مَطَامِعِي      كَذَلِكَ مَنْ تَلَقَّاهُ غَيْرُ قَنُوعٍ  
وَعَيْرُ بَدِيعِ مُنْعِ ذِي الْبُخْلِ مَالَهُ      كَمَا بَدُلُ أَهْلِ الْفَضْلِ غَيْرُ بَدِيعِ

ومن عجب أن يقف بعضهم موقفًا مغايرًا خالف فيه الطبع أو الذوق الخاص بأهل العصر، ومن هؤلاء أثير الدين أبو حيان الغرناطي (ت745هـ) فقد كان دائم الافتخار ببخله، كما يفتخر غيره بالكرم، وكان يقول لأحدهم دائمًا: "أوصيك احفظ دراهمك، ويقال عنك بخيل، ولا تحنّج إلى السفل" (28). وأنشد:

رَجَاؤُكَ فَلَسَا قَدْ غَدَا فِي حَبَائِلِي      قَنِيصًا رَجَاءً لِلنِّتَاجِ مِنَ الْعُقْمِ  
أَتَعَبُ فِي تَحْصِينِهِ وَأَضْيَعِهِ      إِنْ كُنْتُ مُعْتَاضًا مِنَ الْبُرْءِ بِالسَّقْمِ

ومن الغريب حقًا أن يمدح بعض الشعراء أنفسهم بالبخل على الرّغم من أنّهم اتّخذوا منه موقفًا معاديًا، كقول أبي عبد الله محمّد بن الحسن بن الطّوي(29):

يَا لَائِمِي فِي اشْتِغَالِي      بِحِفْظِ مَالِ قَلِيلِي  
الْبُخْلُ لَأَجْمَلُ بِالْخُلِي      رَمِي مِنْ سُؤَالِ النَّخِيلِي

فالشّاعر -هنا- يدعو لائميّه أن يكفوا عن الإكثار من لومه لأنّه منشغل في جمع ماله، مبيّنًا أنّ البخل أجدى نفعًا للإنسان الحرّ، وأحفظ لكرامته من إراقة ماء الوجه وسؤال كلّ من هو بخيل.

وقد وردت في ثنايا أشعارهم تحذيرات أكدوا خلالها على ذم الاجتداء من البخلاء، تأمل معي قول أبي محمد جعفر بن الطيب الكلبى (30):

وَحَقِّكَ لَوْ نَلَيْتَ النَّوَالَ مُعْجَبًا      لَغَيْرِ سُؤَالٍ كَانَ غَيْرَ جَمِيلِ  
فَكَيْفَ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَجْهُ مُؤَمِّلِ      وَلَا يُرْتَجَى لِجُودٍ غَيْرُ بَخِيلِ

رابعاً-تصوير البخلاء

### 1. بخيل المال

أوقع أبو عبد الله محمد بن الحسن بن الطوبى نفسه في حالة من التناقض، ففي مقطوعة سابقة نجده يُفضِّل البخل، غير أننا في ثانية نجده يُحارب البخل والبخلاء، فجاء بتصوير ساخر ممَّن اتَّصفوا بالبخل من ذوي الجاه والثراء، فحينما قصده زائراً، تدارك البخيل الأمر مُعتقداً أنَّ هناك سبباً واحداً دفعه إلى هذه الزيارة وهو طلب العطاء، والمُحرِّك الأساسي وراء ذلك هو الطَّمع، فجاء بتصوير ساخر من خلال رسم صورة مفزعة لحال ذلك البخيل مُصوراً شدة بخله وامتناعه عن الإنفاق، فكادت نفسه أن تفيض خوفاً من العطاء والسَّخاء. قال (31):

أَتَيْتُهُ زَائِراً أَحَدْتُهُ      وَأَسْتُ فِي مَالِهِ بِذِي طَمَعِ  
فَطَنَّ أَيْيَ أَتَيْتُ أَسْأَلُهُ      فَكَادَ يَقْضِي مِنْ شِدَّةِ الْجَزَعِ

ومن جميل صورته قوله في صفة بخيل (32):

تَبَرَّمَ إِذْ دَخَلْتُ عَلَيْهِ لِكِنِّ      فَطَنْتُ فَقُلْتُ فِي عَرْضِ الْمَقَالِ  
عَلَيَّ الْيَوْمَ نَذْرٌ فِي صِيَامِ      فَأَشْرَقَ لَوْنُهُ مِثْلَ الْهَالِ

لا تخلو الصورة في هذه المقطوعة من سخرية مُضحكة في الإشارة إلى بخيل الطعام، فحينما دخل عليه زائراً تبرم وعبس في وجهه، غير أنه الشاعر بذكائه قلب الحالة واستدرك الموقف مُتذكراً أنه في ذلك اليوم نذر على نفسه بالصيام، وهذا من غير حال البخيل بعدما استقبل ضيفه، فانفجرت أساريره، وتبدلت حاله من عبوس وتجهُّم، وبدا وجهه مشرقاً باسمًا كما الهلال إطلالة وإشراقاً.

ومن الوافدين على الأندلس أبو الحسن البغدادي المعروف بالفكيك الذي رسم صورة رائعة استدعى فيها شخصيتي مسيلمة وأشعب المشهورتين، قارناً نفسه بأشعب إذ أعماه الجشع والطَّمع في العدة التي وعدا إيَّاه، ظناً منه أنه صادق الوعد، ولذا فقد غلب عليه الطَّمع وأخذ يضرب أحماساً في أسداس مُفكراً في طبيعة الهدية، وكان كالقاعد على الجمر منتظراً متوجِّساً لليوم الذي سينال فيه العطية. أما شخصيتي مسيلمة فتمثلت فيمن أخلف الوعد، فمن شيم ذلك الممدوح الكذب في إخلاف الوعد، والظاهر أنَّ ممدوحه كان مشهوراً في التَّسويف والمُماظلة لدرجة أنَّ النَّاس جميعاً باتوا يعرفون حقيقة ما دار بينهما، فإذا ما ضمَّهما مجلس، تندروا بالقول لقد اجتمع مسيلمة وأشعب معاً (33).

وَوَعَدْتَنِي وَعَدًّا حَسِبْتُكَ صَادِقًا      فَجَعَلْتُ مِنْ طَمَعِي أَجِيءٌ وَأَذْهَبُ  
فَإِذَا اجْتَمَعْتُ أَنَا وَأَنْتَ بِمَجْلِسِ      قَالُوا مُسْأَلِيمَةً وَهَذَا أَشْعَبُ

وللجزّار السَّرْقُسطِيّ مقطوعة أظهر فيها شدّة بخل من يَصْنَعُ بماله حتّى على نفسه وإن بلغ به المرض مبلغه، فيرفض أن ينفق ولو بشيء قليل منه في سبيل الإبلال من مرضه، فيبخل على الطَّيِّب، ويأخذ في مساومته على الأجر مع أنّه سلّم روحه إليه، ولو شاء لما ذهب إلى الطَّيِّب حرصًا على التَّمسُّك بالدِّينار والدَّرهم، يقول(34):

عَجِبْتُ لِذِي سَقَمٍ مُغْضِلٍ      يَسُومُ الطَّيِّبَ وَيُنْكَدِي عَيْنَهُ  
يَضُنُّ عَيْنَهُ بِدِينَارِهِ      وَيَجْعَلُ مُهَجَّتَهُ فِي يَدَيْهِ

ومن الصُّور الرّائعة في تصوير البخل تلك الصُّورة الّتي استحضرها سليمان بن عبد الله الرديّ بقوله(35).

كَأَنَّ مُرْجِيَهُ الْمُؤَمِّلَ وَاقِفٌ      عَلَى طَلَلٍ مِنْ سَاكِنِي الْحَيِّ بَائِدٍ  
يُسَائِلُ مِنْهُ صَامِتًا غَيْرَ نَاطِقٍ      كَمُسْتَخْبِرٍ جَهْلًا رُسُومَ الْمَعَاهِدِ

تظهر المقطوعة بما فيها من سخرية تصويرًا رائعًا لذلك البخل وإن كانت في حقيقتها تُرَكِّزُ على السَّائل أو المُعتَقِي، ففضاء اللوحة يشي بطبيعة أولئك القوم الّذين انتجعهم، فكأنّهم يسكنون قفراء بلقعا لا حياة فيها، وكأنّهم دُمى أو رسوم بالية، وتجلّى هذا المشهد في موقف طالب النّوال الّذي بدا واقفًا متأملاً وكأنّه يقف على ديار قد غفت وخلت من ساكنيها، ولهذا تملكته الحيرة وأخذ يسائل نفسه عن المكان الّذي يقف فيه، فلا حياة فيه ولا مُجيب. وقد برع الشّاعر في التّصوير من خلال إشارته في صدر البيت الثّاني إلى مطلبه من ذلك البخل، وهو أن يعطيه مالا صامتًا لا ناطقًا من حيوان أو غيره، فلم ينل منه لا هذا ولا ذلك، وجاء عجز البيت الثّاني على هيئة مثل ضربه لمن يقف في ديار بعينه، ويتظاهر بأنّه لم يصل إليها بعد، أو أنّها ليست هي.

ومن ذلك قول يحيى بن الحكم الغزال في ذمّ رجلٍ يُدعى خالدًا(36):

قَصَدْتُ بِمَذْحِي جَاهِدًا نُخَوَّ خَالِدٍ      أُوَمِّلُ مِنْ جَدْوَاهُ فَوْقَ مُنَائِي  
فَلَمْ يُعْطِنِي مِنْ مَالِهِ غَيْرَ دَرْهَمٍ      تَكَلَّفَهُ بَعْدَ انْقِطَاعِ رَجَائِي  
كَمَا اقْتَلَعَ الْحَجَّامُ ضَرْسًا صَحِيحَةً      إِذَا اسْتُخْرِجَتْ مِنْ شِدَّةِ بُبْكَاءِ

رسم الشّاعر في هذه اللوحة صورة ساخرة للمهجو بعد أن أعظم أمه في نيل الأمان من خالد، إلّا أنّه لم يحظ سوى بدرهم حقير بعد طول عناء ومشقة وكبير جهد، ويكشف البيت الثالث عن صورة مضحكة تُثير السُّخرية والضّحك من تلك الحال، إذ قرن حاله بحال الحجّام الّذي انتزع ضرسًا صحيحة بعد عناء طويل. ومن ذلك قول سعيد بن الفرّج الرشاش هاجيًا أحدهم(37):

إِنَّكَ لَا تَعْرِفُ الْجَمِيلَ وَلَا      تُفَرِّقُ بَيْنَ الْقَبِيحِ وَالْحَسَنِ  
إِنَّ الَّذِي يَرْتَجِي نَدَاكَ لَكَالِ      حَالِبِ تَيْسًا مِنْ شَهْوَةِ اللَّبَنِ

كشف البيتان عن تصوير رائع في ذمّ بخل عديم الفهم، وبدا الشّاعر غاضبًا أسفًا على مدحه الّذي وضعه فيمن لا يستحقّ، مشيرًا إلى أنّ ذلك الممدوح لا يعرف الإحسان ولا المعروف، لا بل لا يميز بين الغنّ والسّمين، والقبيح والحسن، وقد أجاد الشّاعر في توظيف مثل "حالب التّيس" الذي يُضرب لمن يطعم في غير مطعم، ومن يرجو من لا يُجدي. وقد عبّر عن استحالة الحصول على شيء من نوال ممدوحه لشدّة بخله مستعينًا بما جرى مع حالب التّيس.

ورسم ابن عبد ربّه صورة رائعة للنّاس في عصره، إذ غلب عليهم البخل، ولن يستطيع أيّ إنسان أن يحصل على شيء

من عطائهم، فهم أشبه ما يكونون بالحجارة الصّماء بسبب بخلهم، لا بل الحجارة أهون قليلًا من شحهم، قال(38):

حَجَارَةٌ بَخْلٍ مَا تَجُودُ وَرَبِّمَا  
تَفَجَّرَ مِنْ صَمِّ الْحَجَارَةِ مَاءٌ (39)  
وَلَوْ أَنَّ مُوسَى جَاءَ يَضْرِبُ بِالْعَصَا  
لَمَا انْبَجَسَتْ مِنْ ضَرْبِهِ الْبُخْلَاءُ (40)  
عَزِيزٌ عَلَيْهِمْ أَنْ تَجُودَ أَكْفُهُمْ  
عَلَيْهِمْ مِنَ اللَّهِ الْغَزِيرِ عَفَاءٌ

يَصَوِّرُ الشَّاعِرُ النَّاسَ بِأَنَّهُمْ قُسَاةُ الْقُلُوبِ كَالصَّخْرِ الْجَلِيدِ، لَا تَلِينُ قُلُوبُهُمْ وَلَا تَرْتَقِ، وَيَسْتَحْضِرُ عَصَا مُوسَى لِتَتَدَخَّلَ فِي الصُّورَةِ قَارِنًا فَعَلَهَا فِي الْحَجَارَةِ الصَّمَاءِ الَّتِي تَفَجَّرَتْ مِنْهَا عَيُونُ الْمَاءِ بِكَلِّ سَخَاءٍ، غَيْرَ أَنَّهَا لَمْ تُفْلِحْ هَذِهِ الْمَرَّةَ فِي أَنْ تُفَجِّرَ مِنْهُمْ شَيْئًا، فَلَوْ شَقَّتْ بِهَا قُلُوبَهُمْ لَمَا أُخْرِجَتْ مِنْهَا مِثَالُ ذَرَّةٍ مِنَ النَّوَالِ وَالْعَطَاءِ.

وَتَكْشِفُ مَقْطُوعَةً أُخْرَى مَزَجَ فِيهَا الْهَجَاءَ بِالسُّخْرِيَّةِ، وَبَيَّنَّ شِكْوَاهُ وَتَدَمَّرَهُ مِنْ جُورِ الزَّمَانِ، وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ يَعُودُ إِلَى الْمَطْلِ وَالنَّسْوِيفِ فِي الْعِدَّةِ مَمَّنْ مَدْحُهُمْ، فَتَأَلَّمَ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ الزَّمَانِ، وَنَعْتَهُمْ بِأَقْبِحِ الْأَلْفَاظِ، فَقَدْ تَبَدَّلَتْ الظُّرُوفُ وَسَاءَتْ الْأَحْوَالُ، وَسَادَ الْعَبِيدُ، وَعَاثَتْ الذَّنَابُ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، وَتَوَزَّعَتِ الْكِلَابُ لِتَمَلَأَ الْأَرْضَ، وَانْقَطَعَ الْخَيْرُ مِنَ النَّاسِ، وَضَاعَ الْوَفَاءُ، وَعَمَّ الْمَطْلُ وَالنَّسْوِيفُ، وَانْقَطَعَ الرَّجَاءُ فِي الْحَصُولِ عَلَى عِدَّةِ خُطَّتْ بِأَيْدِيهِمْ، وَكَثُرَتْ مَوَاعِيدُهُمُ الَّتِي أَصْبَحَتْ سِرَابًا. وَيَرَى الْبَاخِثُ أَنَّ فِي هَذَا إِسَاءَةً كَبِيرَةً لِأَهْلِ عَصْرِهِ، إِذْ وَصَفَهُمْ بِالْعَبِيدِ وَالذَّنَابِ، فَمَنْ الْمَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونُوا جَمِيعًا هَكَذَا، كَمَا أَنَّه سَخِرَ مِنَ الدَّهْرِ وَبَدَأَ نَاقِمًا عَلَيْهِ نَقْمًا شَدِيدًا، تَأَمَّلْ مَعِيَ قَوْلَهُ فِي رَجُلٍ كَتَبَ إِلَيْهِ بَعْدَةَ فِي صَحِيفَةٍ وَمَطَّلَهُ بِهَا (40):

رَجَاءٌ دُونَ أَقْرَبِهِ السَّحَابُ  
وَتَسْوِيفٌ يَكِلُ الصَّيْبُ عَنْهُ  
وَدَهْرٌ سَادَتِ الْعَبْدَانُ فِيهِ  
وَأَيَّامٌ خَلَّتْ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ  
كِلَابٌ لَوْ سَأَلْتَهُمْ تُرَابًا  
يَعَاقِبُ مَنْ أَسَاءَ الْقَوْلَ فِيهِمْ  
وَعَدُّ مِثْلُ مَا لَمَعَ السَّرَابُ  
وَمَطَّلُ مَا يَقُومُ لَهُ حَسَابُ  
وَعَاثَتْ فِي جَوَانِبِهِ الذَّنَابُ  
وَدُنْيَا قَدْ تَوَزَّعَهَا الْكِلَابُ  
لِقَالُوا: عِنْدَنَا انْقَطَعَ التُّرَابُ  
وَإِنْ يُحْسِنُ فَلَيْسَ لَهُ ثَوَابُ

وَمِنْ طَرِيفٍ مَا ذَكَرَ ابْنُ خَاتِمَةَ (ت770هـ) أَنَّ بَعْضَ الشُّعْرَاءِ اسْتَمْنَحَ بَعْضَ الْبُخْلَاءِ، فَأَعْطَاهُ نَزْرًا، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ مِنْ رَمْحَةِ فَرَسٍ أَصَابَتْهُ، فَقَالَ (42):

مَا إِنْ دَرَى ذَلِكَ الدَّمِيمُ وَقَدْ شَاكَ  
هَلْ يَشْتَكِي وَجَعًا بِهِ فِي سُرَّةٍ  
مِنْ نَيْلٍ مُمْتَدِّحٍ وَرَمْحٍ جَوَادٍ  
بِالسِّينِ أَمْ فِي صُرَّةٍ بِالصَّادِ؟

بَنَى الشَّاعِرُ عَلَى اعْتِدَارِ ذَلِكَ الْبَخِيلِ صُورَةَ مَضْحَكَةٍ، بَيَّنَّ فِيهَا مَوْقِفَ الرَّجُلِ وَشِدَّةَ بَخْلِهِ مُنْتَهَرًا الْفُرْصَةَ فِي الشُّكُورِ وَالْأَلْمِ لِلْمَالِ الَّذِي أَنْفَقَهُ عَلَى تِلْكَ الْمَدْحَةِ مِنْ نَاحِيَةِ، وَالشُّكُورِ مِنْ رَمْحِ الْفَرَسِ لَهُ. وَقَدْ بَرَعَ الشَّاعِرُ فِي مَقَارِبَةِ الصُّورَةِ بِأَسْلُوبِ فَكَاهِيٍّ سَاخِرٍ عَبَّرَ التَّلَاعِبَ بِالْأَلْفَاظِ، مِنْ خِلَالِ إِبْدَالِ السِّينِ فِي لَفْظَةِ (سُرَّةٍ)، صَادًا لِتَصْبِحَ (صُرَّةٍ)، وَفِيهَا يَكْمُنُ الْمَغْزَى مِنَ الْأَلْمِ وَإِظْهَارِ التَّوَجُّعِ، فَلَمْ تَوْلَمْهُ الْإِصَابَةُ فِي سُرَّةٍ بَطْنَهُ بِقَدْرِ مَا أَلَمَهُ أَنَّهُ مَدَّ يَدَهُ إِلَى صُرَّةٍ مَالِهِ لِيُخْرِجَ مِنْهَا نَزْرًا قَلِيلًا.

## 2. بخيل الطعام

سَخِرَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ مِنْ طَعَامِ الْبُخْلَاءِ، فَقَالَ (43):

طَعَامٌ مَنْ لَسَتْ لَهُ ذَاكِرًا  
دَقَّ كَمَا دَقَّ بِأَنَّ يُذَكَّرَا!

لا يُفْطِرُ الصَّائِمُ مِنْ أَكْلِهِ      نَكَّرَهُ صَوْمٌ لَمَنْ أَقْطَرَ  
فِي وَجْهِهِ مِنْ لُؤْمِهِ شَاهِدٌ      يَكْفِي بِهِ الشَّاهِدُ أَنْ يُخْبِرَا  
لَمْ تَغْرِفِ الْمَغْرُوفَ أَفْغَالَهُ      قَطُّ كَمَا لَمْ يُنْكَرِ الْمُكَرَا

فهذه الأبيات مغلفة بقالب من السخرية من المهجور دون أن يُصرح بذكر اسمه، فهو لا يُقدِّم على مائدته شيئاً يُذكر، والصائم يبقى على حاله صائماً دون أن يُفطر بل يظلَّ جائعاً، والمفطر يظلُّ كذلك صائماً قسراً، غير أنَّ صيامه هذا دون أجر، وممَّا يزيد الأمر تعقيداً لؤم ذلك البخيل الذي يُرى في قسماط وجهه، كما أنه لم يُقدِّم يوماً صنيعاً أو معروفًا حتى يُحمد عليه.

وقال إسماعيل بن بدر هاجياً بخيلاً ومغنيَّةً (44):

تَنْفَسُ لَمَّا لَاحَظَ الْقَوْمُ خُبْرَهُ      وَقَطَّبَ لَمَّا لَامَسَتْهُ الْأَصَابِعُ  
فَقُلْنَا لَهُ: إِنَّا شِبَاعٌ فَجُدْ لَنَا      بَعُودٍ فَمَا فِي الْقَوْمِ غَيْرَكَ جَائِعُ  
فَأَسْمَعَنَا دَرْدَاءَ صَالِعَاءَ رَجَعَتْ      بِصَوْتِ لَهَا تَسْتَأْكَ مِنْهُ الْمَسَامِعُ  
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي كِلَابٌ تَهَارَشَتْ      بِخُلْفُومِهَا أَمْ نَقْنَقَتْ بِبِي ضَفَادِعُ

تُقدِّم المقطوعة تصويراً ساخراً للبخل من خلال الكشف عن نفسية صاحبه من ناحية، فهو يمقت من يأتي لزيارته وبخاصة لحظة تقديم الطعام، ويكشف قوله "تنفس" و "قطب" عن حالة من السخط والتبرم والعبوس في وجه الضيوف، وبخاصة عندما أنكر عليهم فعلم في ملاحظته عندما مدَّ يده لأخذ كسرة، وتجلَّى ذلك بقوله "لاحظ"، و "لامسته"، وتكشف الصورة بعداً نفسياً آخر لهذا البخيل، فهو خائف من أين يشاركه أحد في طعامه، وهذا ما لا تستسيغه نفسه.

وينصرف الشاعر عن تجليات هذا المشهد في محاولة منه لإظهار صورة أخرى من صور بخل ذلك الرجل، فالضيوف يعلنون أنهم لا يرغبون في مشاركته الطعام، وإنما يرغبون في سماع صوت مغنيته التي تحمل السمات نفسها التي يحملها هو، فبخله دفعه إلى اقتناء مغنيَّة اجتمع فيها خصلتان: قبح المنظر وبشاعة الصوت.

وقد عكست اللوحة بُعدين: نفسياً ومعنوياً، وآخر حسياً، تمثل الأول في الشح والبخل في نفس البخيل، وقبح صوت المغنيَّة فهو أشبه ما يكون بنقيق الضفادع أو هراش الكلاب، وأمَّا الثاني فتجلَّى في قبح شكلها فهي هرمة تساقط أسنانها، وتتاسل شعرها، وما من شك في أنَّ الدافع وراء اقتناء الرجل لمثل هذه المغنيَّة هو البخل.

وسخط ابن عبد ربه على البخلاء وهجاهم بأقذع هجاء، وعاب عليهم المطل وخلف الوعد، لا بل عرض بهم ويكذبهم،

ومن ذلك قوله في رجل كتب إليه بعدة في صحيفة ومطله بها (45):

صَحِيفَةٌ طَابِعُهَا اللَّوْمُ      عُنْوَانُهَا بِالْبُخْلِ مَخْتُومٌ  
أَهْدَاكُهَا وَالْخُأْفُ فِي طَيْبِهَا      وَالْمَطْلُ وَالتَّسْوِيفُ وَالْأَلْوْمُ  
مَنْ وَجْهُهُ نَحْسٌ، وَمَنْ قُرْبُهُ      رِجْسٌ، وَمَنْ عِرْفَانُهُ شَوْمٌ  
لَا تَهْتَضِمُ إِنْ كُنْتَ صَانِعًا لَهُ      فَخُبْرُهُ فِي الْجَوْفِ هَاضُمٌ  
تَكْلِمُهُ الْأَنْحَاظُ مِنْ رِقَّةٍ      فَهُوَ بِالْخَطِّ الْعَيْنِ مَكْلُومٌ  
لَا تَأْتِدِمُ شَيْئًا عَلَى أَكْلِهِ      فَإِنَّهُ بِالْجُوعِ مَأْدُومٌ

فألوحة ترسم صورة ساخرة مضحكة لمضمونها أولاً: فهي للبخل عنوان، وتحمل في طياتها الخلف والمطل والتسويق واللوم، وتتبنى عن وجه صاحبها ثانياً: فوجهه يجلب النحس، والقرب منه رجس، ومعرفته شؤم، ويمضي الشاعر في سخريته مشيراً أن طعامه لا يهضم أو يستساغ؛ وذلك لأنه دائم النظر إلى ضيوفه بنظراته الجارحة المؤلمة، ويوصي من يفكر في زيارته أنه لن يأكل شيئاً؛ لأن الجوع سيكون طعامه وإدامه، وفيها أيضاً توجيه إلى تجنب تناول الطعام عند هذا البخل. وتظهر الصورة بعداً نفسياً في تبيان موقف البخل من الضيوف، إذ يلجأون إلى إظهار التبرم والعبوس، كما أنهم يديمون النظر إليهم ويراقبون حركاتهم وبخاصة عند تناول الطعام، وهذا من التصرفات الممقوتة التي يجب الابتعاد عنها على وجه الخصوص.

وقال ابن وهيب متندراً على مائدة أدهم في أسلوب ساخر (46):

وَمَا يَذَّةِ جِسْمُهَا أَطْفَعُهُ      يَذُلُّ عَلَى صَفْقَةٍ خَاسِرَةٍ  
فَتَأْتِكَ لَنَا قَدْ غَدَبَتْ نُقْطَةً      وَنَحْنُ عَلَيْهَا نُزِرَى دَائِرَةٍ

تكشف الصورة عن سخرية ضاحكة من تلك المائدة التي صنعها ذلك البخل، فهي صغيرة مستديرة، نحيلة رقيقة الجسم، وهذا ينبئ عن خسارة من يأكل عليها، لأنها لا تتسع لشيء من الطعام، والنّاظر إلى الحاضرين وقد تحلقوا حولها يرى أنها نقطة مركز الدائرة التي شكلوا لها التفوا حولها، وهي بالكاد تبين للنّاظرين.

وتندّر أحمد بن محمد بن فرج الجباني المعروف بالبلساري على بخل أكل يدعى حامداً بن محمد، وقد عُرف عنه بخله وتقتيره، فقال هاجياً له (47):

فَعَلَ اللَّئِيمُ وَلَيْتَهُ لَمْ يَفْعَلِ      وَأَتَى بِفِعْلِ مِثْلَهُ لَمْ يَجْمَلِ  
ذَبَحَ الصَّفَادِعَ فِي الصَّنِيعِ وَلَمْ يَدَعِ      لِلنَّمْلِ جَارِحَةً وَلَا لِلْقَمَلِ  
وَضَعَ الطَّعَامَ فَلَوْ عَأْتَهُ ذُبَابَةٌ      وَقَعَتْ لِنُكْمِلَ شَبْعَةً لَمْ تُكْمِلِ  
وَكَأَنَّ مَا خُرِطَتْ صِحَافُ طَعَامِهِ      مِنْ دِقَّةٍ وَدِمَامَةٍ مِنْ خَزَلِ  
وَكَأَنَّ فَنْرَةَ صَخْفَةٍ عَنْ صَخْفَةٍ      فِي الْبُعْدِ وَالْإِنْبَاءِ فَنْرَةٌ مُرْسَلِ

تكشف الصورة عن أشد حالات البخل، فصاحبها لئيم في الطبع والصنيع، فهذا الأكل يأتي على كل شيء أمامه، ويأكل أي شيء، فما من أحد يجرو على أكل الصّفادع، ومما زاد الصورة قتاما وسوادا في أنه مسح الصّفحة مسحا، ولم يدع للنمل أو القمل مقبلا فيها، لو فكرت الذبابة بالوقوع على طعامه لكانت قد سقطت ضحية هي الأخرى وأتى على أكلها.

### 3. التندر على البخل

أكثر الشعراء من رسم صور تهكمية ساخرة من البخل وتصوير هياتهم ونفسياتهم حين سؤالهم، ولا تخلو تلك الصور من فكاهة وظرافة تنقل لنا حقيقة المشهد، وتدفعنا للتأمل والتخيل للصورة المرسومة. تأمل معي قول مؤمن ابن سعيد موصورا هيئة بخل أنشده شعرا (48):

أَلَا رَبِّ مَنْ أَنْشَدْتُهُ فِيهِ مِذْحِي      وَأَطْرَقَ حَتَّى قُلْتُ قَدْ مَاتَ أَوْ بَدَا  
تَنَاوَمَ عَنْ مَذْحِي كَأَنِّي سَقَيْتُهُ      بِمَذْحِي إِذَا أَنْشَدْتُهُ الْمَذْحَ مَرْقَدَا

ينقل البيتان صورة رائعة لمشهد نتصوره وكأنه مائل أمامنا ونراه رأي العين، إذ تكشف الصورة السمعية في قوله "أطرق" عن موقف يظهر فيه الاستغراب والتعجب الذي استولى على الممدوح، فبدا كأنه تمثال لا روح فيه، ويكشف البيت الثاني محاولة الممدوح التهرب من تقديم العطاء للشاعر من خلال التظاهر بأنه نائم، وفي هذا حيلة واضحة لمحاولة التخلص من مكافأة الشاعر، كأنه قد سقاه خمراً بمدحته تلك واستسلم إلى نوم عميق.

وقد تندر الشعراء على المشاهير من البخلاء، ومن ذلك الحوار القصصي الذي أجراه عبد الله ابن يوسف بن رضوان المالقي، واصفاً ما جرى بينه وبين بخيل دُعي لسكنى الجنان، فأبى رافضاً ترك داره؛ لأنه خزن فيها ماله الذي لا يستطيع التفريط به، فإرد عليه الشاعر بالقول إن في مقاله عين الصواب، وألا يستمع إلى كل خبيث ماكر يرغبه في ترك داره، والأولى أن يبقى ساكناً داره التي خزن فيها ماله، ولا يستبدلها بجنان النعيم. يقول (49):

مَنْزِلِ بِالْجِنَانِ ضَنَّ بِذَلِكَ	وَبَخِيلٍ لَمَّا دَعَا لِسُكْنَى
جُلِّ مَالِي فَلَسْتُ لِلدَّارِ تَارِكِ	قَالَ: لِي مَخْرَنٌ بِدَارِي فِيهِ
قَوْلِ خَبِّ مَرغِبٍ فِي انْتِقَالِكَ	قُلْتُ: وَفُقْتُ لِلصَّوَابِ فَخَاذِرِ
وَأَتَكُنَّ سَاكِنًا بِمَخْرَنِ مَالِكَ	لَا تُعْرِجْ عَلَيَّ الْجِنَانِ بِسُكْنَى

#### خامساً-الدعوة إلى الإنفاق والبذل وذم الحرص

ربط شعراء الأندلس بين البذل والبخل في كثير من أشعارهم، فكلاهما متلازمان لا تنفك عراهما أبداً، ونظراً لأن الكرم أجدى وأسمى وأندى، فقد خلد الشعراء مآثر الأفاضل الأكارم من ذوي الهمم العالية الذين أطلقوا أيديهم في الخير والإحسان، وأفنوا أموالهم في الأعمال التي تُخلد ذكركم أبد الدهر، ولذا رفع نفر من الشعراء لواء الدعوة إلى الكرم والسخاء والمحامد التي تُبقي الذكر خالداً في نفوس الناس على مدى تعاقب الدهور والأزمان، وراحوا يدعون إلى الإنفاق بسخاء، وأخذوا يذمون الحرص، ويحضون على تفويض الأمر إلى الله عز وجل، فهو الذي تكفل بالرزق، وعليه فلا داعي للخوف من إقلال أو فقر.

تأمل معي قول ابن خاتمة في الحث على العطاء (50):

قَبْلَ تَرْحَالِهِ وَنَأْيِ مَحَلِّهِ	ابْذُلِ الْمَالَ لَا تُبَالِ بِبَذْلِهِ
وَقِرَى ابْنِ السَّبِيلِ تَجْهِيْزُ رَحْلِهِ	إِنَّمَا الْمَالُ عِنْدَكَ ابْنُ سَبِيلٍ

فالشاعر يدعو إلى العطاء دون حدود قبل أن يذهب المال، مُشَبِّهًا المال بابن السبيل المغادر على عجل، فلا بد من إكرام هذا العابر والإحسان إليه قبل أن يُجهز نفسه راحلاً، ولعمري لقد أجاد ابن خاتمة الربط بين ذهاب المال حال بذله دون ميالة أو تفكير بالعواقب قبل أن يرحل ينأى عن صاحبه، قارناً ذلك بابن السبيل الذي لا بد أن يُكرم ويُحسن إليه، قبل أن يمضي مسافراً إلى مبتغاه. ولابن خاتمة مقطوعة أخرى في ذم الحرص والحض على التفويض (51):

يَا غَادِيَا فِي جَرِيهِ زَائِحَا	لِرَفْضِكَ الْجِرْصِ هُوَ الْخَيْرُ لَكَ
لَمْ تَذُرِ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ	هُوَ الَّذِي بِفَضْلِهِ اسْتَقْبَلَكَ
يَبْرَاكَ مُضْطَرًّا بِبِلَا قُوَّةِ	فَمَنْ بِالْقُوَّةِ وَاخْتَارَ لَكَ
فَفَوْضِ الْأَمْرِ لِتَدْبِيرِهِ	مُرْتَضِيًّا مِنْهُ بِمَا حَقَّ لَكَ

وَكُنْ كَمَا كُنْتَ لَهُ أَوْلَا      يَكُنْ لَكَ الْآنَ كَمَا كَانَ لَكَ

ومن لطيف ما قيل في الدعوة إلى البذل، ما كتبه ابن قزمان (ت554هـ) على باب جنته(52):

كَثِيرُ الْمَالِ يَبْذُلُهُ فَيَقْتَلِي      وَقَدْ يَبْقَى مَعَ الْجُودِ الْقَلِيلِ

وَمَنْ عَرَسَتْ يَدَاهُ ثَمَارَ جُودٍ      فَفِي ظِلِّ النَّوْءِ لَهُ مَقِيلٌ

هذا النمط من النقوش والكتابات التي انتخبها أصحابها لتمثّل مبدأ خاصاً في الحياة، وفلسفة خاصة بصاحبها، وإن تعددت أشكالها وتوّعت مضامينها، من آيات قرآنية، وأحاديث شريفة، وأقوال مأثورة، وعبارات دالة على الاعتبار والعظة من الموت، أو أبيات شعريّة تترجم لنفسية قائلها في ذلك الوقت.

والنّآظر إلى ما خطّه ابن قزمان يدرك توجّهه الدّاعي إلى بذل المال كرمًا وجودًا، ودعوة إلى الإنفاق والتّمتع بلذات الحياة، فالمال حتمًا سيؤول إلى النّفاذ، ولا يبقى منه إلا القليل، غير أنّ التّرجمة العمليّة تكون في النّتيجه، فمن يغيرس شجرة الكرم فإنّها حتمًا ستطرح أفضل الثّمرة المقرون بالنّاء الدّائم على صاحبه.

#### سادسًا-الدّعوة إلى الرّهد وإطلاق الحكم

أكثر نفر من الشّعراء الدّعوة إلى الاعتبار من الحياة الغادرة، معتمدين في ذلك على فلسفة الحياة التي أمدهم بقصص سالفه فيها معتبر، عبر استحضار بعض الشّخصيّات التي خلّدها الدّهر لفرط كرمها من ناحية، أو الاقتباس من الآيات القرآنية التي تشير إلى عدم البخل والتّمسك بمباهج الدّنيا الفانية.

ونقرأ في إحدى مقطوعات السّمييسر ميلاً واضحاً إلى الرّهد وإطلاق الحكم، قال(53):

المــال ذُنٌّ، وذُلٌّ      أَلَا يُرَى لَكَ مَالٌ

فَإِخْرَصِ كَأَنَّكَ بِبَاقٍ      فَمَا لِيذِي الْفَقْرِ حَالٌ

وَأَفْتِغِ فَإِنَّكَ فَمَانٍ      غَدًا وَكُلُّ مَخَالٍ

للشّاعر فلسفة خاصّة في النّظر إلى المال، فهو من ناحية يجلب الذّل لصاحبه، ومن ناحية أخرى رؤية الإنسان بلا مال مدلّة له، وليس للمرء إلاّ القناعة. ومن لطيف الحكم قول أبي بكر ابن الجزار السرقسطي(54):

نَاءٌ الْفَتَى يَبْقَى وَيَقْتَلِي نَأْوُهُ      فَلَا تُكْتَسِبُ بِالْمَالِ شَيْئًا سِوَى الذِّكْرِ

فَقَدْ أَبْلَتِ الْأَيَّامُ كَغَبَا وَحَاتِمًا      وَذَكَّرَهُمَا غَضٌّ جَدِيدٌ إِلَى الْحَشْرِ

رَكَز الشّاعر على أنّ ذكر المرء هو الذي يبقى خالداً أبداً الدّهر، أمّا المال فمصيره الفناء، وأقد أجاد في استحضار شخصيّتين محبوبتين تغنى بوجودهما كثيرٌ من الشّعراء؛ لأنّهما من كرام العرب الأسيخاء، وهما: كعب بن مامة، وحاتم الطّائيّ وتعجّب ابن أبي الصّلت في حكمة له أطلقها ليحذر ممّن يحزن على نقصان ماله، ولا يحزن على نقصان عمره خوف

الفقر، وهذا الذي يثنيه عن القيام بما يرومه، وما من شكٍّ في أنّ الخوف من الفقر هو الفقر بعينه. قال(55):

تُفَكِّرُ فِي نُقْصَانِ مَالِكَ دَائِمًا      وَتَغْفُلُ عَنْ نُقْصَانِ جِسْمِكَ وَالْعُمْرِ

وَيُثْنِيكَ خَوْفُ الْفَقْرِ عَنْ كُلِّ بَغْيَةٍ      وَخَوْفُكَ حَالَ الْفَقْرِ شَرٌّ مِنَ الْفَقْرِ



وقد تعجّب ابن جببر من أحوال الإنسان وطمعه وحرصه على التمسك بالدنيا، فقال (56):

عَجِبْتُ لِلْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ تُطْمِعُهُ      فِي الْعَيْشِ وَالْأَجَلِ الْمَخْتُومِ يَقْطَعُهُ  
يُمْسِي وَيُضْبِحُ فِي عَشْوَاءٍ يَخْبِطُهَا      أَعْمَى الْبَصِيرِ وَالْأَمَالِ تَخْذَعُهُ  
يَغْتَرُّ بِالذَّهْرِ مَسْرُورًا بِصُخْبَتِهِ      وَقَدْ تَيَقَّنَ أَنَّ الذَّهْرَ يَصْرَعُهُ  
وَيَجْمَعُ الْمَالَ حِرْصًا لَا يُفَارِقُهُ      وَقَدْ ذَرَى أَنَّهُ لِلغَيْرِ يَجْمَعُهُ  
تَرَاهُ يُشْفِقُ مِنْ تَضْيِيعِ دِرْهَمِهِ      وَلَيْسَ يُشْفِقُ مِنْ دَيْنِ يَضَيِّعُهُ  
وَأَسْوَأَ النَّاسِ تَذْبِيرًا لِعَاقِبَتِهِ      مَنْ أَنْفَقَ الْعُمْرَ فِيمَا لَيْسَ يَنْفَعُهُ

العجب كلّ العجب من طمع الإنسان وحبّه للدنيا الزائلة، فيمضي حياته أعمى البصر والبصيرة وقد خدعته الآمال، واغترّ بالذهر الذي لا يؤمن جانبه، إذ عرف عنه الغدر فلا ينبغي أن يوثق به أبدًا، فسرعان من ينقلب عليه ويقضي عليه. وكذلك تعجّب من حرص الإنسان في جمع المال غير أنّ ذلك المسكين لا يدري أنّه يجمع لغيره لا لنفسه، وتعجّب من حرصه وإشفاقه على تضييع دراهمه، في حين أنّه لا يحزن على تضييع دينه، وهذا من أشدّ الناس شقاءً؛ لأنّه أضاع العمر سدّى في أمور لا تكسبه حمدًا أو ثناءً.

ومن جميل حكم أبي محمد غانم بن وليد المخزومي المالقي (57):

ثَلَاثَةٌ يُجْهَلُ مَقْدَارُهَا      الْأَمْنُ وَالصِّحَّةُ وَالْقُوَّةُ  
فَلَا تَثِيقُ بِالْمَالِ مِنْ غَيْرِهَا      لَوْ أَنََّّهُ دُرٌّ وَيَأْقُوْتُ

رَكَزَ الشَّاعِرُ عَلَى ثَلَاثَ ذَاتٍ مَقْدَارٍ كَبِيرٍ غَيْرَ أَنَّ مَعْظَمَ النَّاسِ يَجْهَلُونَهَا، وَيَجْهَلُونَ كَذَلِكَ قِيمَتَهَا، وَهِيَ: الْأَمْنُ، وَالصِّحَّةُ، وَالْقُوَّةُ. وَفِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ حَذَّرَ مِنْ عَدَمِ الْوَثُوقِ بِالْمَالِ وَإِنْ كَانَ دُرًّا وَيَأْقُوْتُ، وَمَا قِيمَةُ الْمَالِ إِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ يَفْتَقِرُ إِلَى الْأَمَانِ، أَوْ الصِّحَّةِ، أَوْ يَحْرِمُ نَفْسَهُ مِنَ الْغِذَاءِ طَمَعًا وَتَقْتِيرًا فِي كَنْزِ الْأَمْوَالِ.

## الدراسة الفنية

### 1. الشّكل

لاحظ الباحث من خلال الدراسة الموضوعية أنّ الشعر الذي قيل في البخل جاء على شكلين هما: المقطعات ويمثّل هذا اللون غالبية النماذج الواردة في البحث، والثنتف وهي أقلّ الشعر، وكلّ منها جاء في بيتين اثنين فقط. ويعزو الباحث السبب في ذبوع هذا النمط من النظم -أي المقطعات- إلى سرعة حفظها وعلوقها في الأذهان، كما أنّه يساعد في سرعة انتشارها وتداولها بين الناس.

### 2. اللغة والأسلوب

من خلال استعراض النصوص الشعرية ظهر للباحث أنّ الشعراء كانوا يميلون إلى استخدام ألفاظ سهلة، وتراكيب واضحة بعيدة عن الغموض والإبهام، وذلك من أجل ضمان ذبوع أشعارهم بين الناس، ولذا تميّزت لغتهم بالبساطة، بعيدًا عن توظيف الألفاظ المعجمية المقصورة على الخاصة دون العامة. ومما ساعد على سهولة فهمها كونها منظومة في موضوع واحد هجوا أو وصفًا، ولهذا جاءت الألفاظ دقيقة دالة على معانٍ محدّدة واضحة. ويتّضح ذلك من خلال المثال الآتي: (58):

فَلَيْسَ كَمَنْ إِنْ تَسَّاهُمْ عَطَاءً      يَهُدُوا أَكْفَهُمْ لِمُ لَعَطَاءِ  
إِذَا جِئْتُهُمْ بِالْمَدِيحِ أَنْزَوْا      كَأَنَّكَ تَأْتِيهِمْ بِالْهَجَاءِ

فالألفاظ الواردة في الننتفة سهلة واضحة ولا غرابة في معانيها.

ومن الأمثلة الأخرى الدالة على مصداق من نذهب إليه، قول ابن الأثير (59):

لَا أَرْضِي الْبَاخِلَ خِلاً وَإِنْ      أَحَلَّه الْإِسَارَ فِي ذُرْوَتِهِ  
دَعَاهُ يُكَاتِرُ بِالنَّرَاءِ الثَّرَى      قَنَاعَتِي أَكْثَرُ مِنْ ثُرْوَتِهِ

فالبيتان لا يحتاجان إلى تفسير أو شرح أو توضيح، إذ إن الشاعر يوجه كلامه إلى العامة دون الخاصة.

ويلاحظ تأثر الشعراء بألفاظ القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، ومن ذلك قول أبي جعفر الإلبيري (ت779هـ) (60):

يَا صَاحِبَ الْمَالِ أَلَمْ تَسْتَمِعْ      لِقَوْلِهِ "مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ"

فعبارة "ما عندكم ينفد" مأخوذة من قوله تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٌ﴾ [النحل: 96].

وقول ابن عبد ربه (61):

حِجَارَةٌ بَخْلٍ مَا تَجُودُ وَرَيْمًا      تَقْجَرُ مِنْ ضَمِّ الْحِجَارَةِ مَاءً  
وَلَوْ أَنَّ مُوسَى جَاءَ يَضْرِبُ بِالْعَصَا      لَمَا انْتَبَجَسَتْ مِنْ ضَرْبِهِ الْبُخْلَاءُ

ففي البيت الأول اقتباس بالإشارة من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيُخْرِجُ

مِنْهُ الْمَاءُ﴾ [البقرة: الآية 74]، والبيت الثاني مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمَهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ

الْحِجْرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [الأعراف: 160].

واستخدم بعض الشعراء الأمثال العربية، كقول الرشاش (62):

إِنَّ الَّذِي يَرْتَجِي نَدَاكَ كَأَنَّ      خَالِبٍ تَيْسًا مِنْ شَهْوَةِ اللَّبَنِ

فالشاعر -هنا- ضمن المثل العربي المشهور "كالحالب التيس من شهوة اللبن"، وتناص مع قول والبة ابن الحباب المعروف (63):

أَصَابَتْ لَا تَعْرِفُ الْجَمِيلَ وَلَا      تَفَرِّقُ بَيْنَ الْقَبِيحِ وَالْحَسَنِ  
إِنَّ الَّذِي يَرْتَجِي نَدَاكَ كَمَنْ      يَحْلِبُ تَيْسًا مِنْ شَهْوَةِ اللَّبَنِ

وقد وظف الشعراء ألفاظ الحديث الشريف، ومن أمثلة ذلك قول ابن خاتمة (64):

إِذَا وَجَدْتَ فَجْدًا لِلنَّاسِ قَاطِبَةً      فَالْحَالُ تَفْنَى وَيَبْقَى الذُّكْرُ أَحْوَالًا  
لَا سِيَّامًا وَرِسْوُلُ اللَّهِ ضَامِنُهُ      "أَنْفِقْ وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا"

انكأ الشاعر في الدعوة إلى الجود والكرم على الموروث الديني، مشيرًا إلى أن البذل هو الذي يُخَلِّد ذكر المرء، فالمال يفنى، والذكر

يبقى، وقد استند في دعوته إلى البذل مُحْتَجًّا بقول رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لبلال: "أنفق يا بلال، ولا تخش من ذي

العرش إقلالًا". وضمن بعض الشعراء ما قاله الإمام علي كرم الله وجهه، كقول ابن سارة (65):

فَالْبُخْلُ بَيْنَ الْخَادِئِينَ وَإِنَّمَا      "مَالُ الْبَخِيلِ لِحَادِثٍ أَوْ وَارِثٍ"

فقد أجاد الشاعر في الدعوة إلى إنفاق المال في وجوه الخير، مستعيناً بقول الإمام علي رضي الله عنه: "بشّر مال البخل بحادث أو وارث".

وهذا علي بن محمد بن سليمان الأنصاري يوظف ألفاظ حديث شريف آخر في دعوة الناس إلى الإنفاق والبعد عن الإمساك، يقول (66):

يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِسِيُّ الْبَخِيلُ      إِلَهُكَ الْمُؤْفِقُ الْكَفِيلُ  
أَنْفِقْ وَثِقْ بِالْإِلَهِ تَرْبِحْ      فَإِنَّ إِخْسَانَهُ جَزِيلُ  
وَقَدْ دِمِ الْأَقْرَبِينَ وَأَذْكَرُ      مَا رُوِيَ "أَبْدَأُ بِمَنْ تُعُولُ" (67)

فقد أجاد الشاعر في البيت الثالث تضمين الحديث النبوي الشريف الذي أكد فيه الحبيب المصطفى، صلى الله عليه وسلم، على ضرورة الإنفاق على الأقربين دون الأبعدين، ممن تجب عليهم نفقتهم، وقد مثل عليهم بالولد والزوجة والوالدين، وغيرهم ممن هم بحاجة إلى المال.

واستخدم بعض الشعراء أسلوب الحوار أو القصة في مقطوعاتهم وهو ما أضفى عليها جانباً من الحيوية كقول ابن رضوان المالقي (68):

وَبَخِيلٌ لَمَّا دَعَا لِسُكْنَى      مَنَزَلَ بِالْجِنَانِ ضَنَّ بِذَلِكَ  
قَالَ: لِي مَخَزَنٌ بِدَارِي فِيهِ      جُلٌّ مَالِي فَلَسْتُ لِلدَّارِ تَارِكِ  
قُلْتُ: وَقَفْتِ لِلصَّوَابِ فَخَاذِرِ      قَوْلِ خِبِّ مَرْغَبٍ فِي انْتِقَالِكَ  
لَا تُعْرِجْ عَلَى الْجِنَانِ بِسُكْنَى      وَنَتَكُنْ سَاكِنًا بِمَخَزَنِ مَالِكَ

ووظفوا في مقطوعاتهم الأساليب الإنشائية من أمر ونداء، كقول أبي جعفر أحمد بن محمد المعافري في هذا الباب (69):

تَكْفَلْ بِالرِّزْقِ الَّذِي تَسْتَجِئُهُ      إِلَهَكَ فَاتَّجَمَلْ إِذَا أَنْتَ طَالِبُهُ  
وَكُنْ سَاعِيًا فِيهِ عَلَى وَفْقِ أَمْرِهِ      شَكُورًا فَالشُّكْرُ لَا شَكَّ جَالِبُهُ  
وَإِيَّاكَ وَالسَّعْيَ الْمُذِلَّ فَإِنَّهُ      يَأْتِيكَ مِنْهُ مَا أَنْتَ وَاهِبُهُ  
دَعِ الْجِرْصَ فِيهِ وَاسْأَلِ اللَّهَ بِسَطْوَةٍ      فَمَا الْجِرْصُ مُذْنِبُهُ وَلَا الْبُطْءُ سَالِبُهُ  
فِيَا رَبِّ وَإِنْ نَالَهُ كَيْفَ مَا اشْتَهَى      وَرَبِّ حَرِيصٍ أَعُوذُ بِهِ مَكَاسِبُهُ

وأكثر بعض الشعراء من ذكر الألفاظ الخاصة بالبخل مثل: "شحيح، شح، تقتر، يظن، باخل، المطل، التسويف"، والكرم وألفاظه نحو: "بذل، عطاء، جود، نوال، ندى"، وكذلك ألفاظ الطعام وأدواته، ومن ذلك: "يأتد، تهضم، صحاف، مائدة، صحفة، خبز" وغيرها.

وقد وظف الشعراء في أشعارهم الطباق بكثرة، وبخاصة في نقد البخل وتبيان الصورة السلبية للبخل، ولا يخفى على أحد القيم الجمالية له من خلال استحضار الأضداد في المقام نفسه بغية الكشف عن فضل هذا على ذاك، ومن الأمثلة على ذلك قول ابن رزين (70):

وَمَنْ أَدَلَّ الْمَالَ عَزَّتْ بِهِ      أَيَّامُهُ وَأَنْصَرَ رَفَّتْ جُنْدُهُ

فَاهْدِمِ بِنَاءَ الْبُخْلِ وَارْزُقْ بِهِ      مَنْ هَدَمَ الْبُخْلَ بَنَى مَجْدَهُ

فقد طابق بين الدل والعز في البيت الأول، والهدم والبناء في الثاني.

والتكرار من الظواهر الأسلوبية التي يمكن ملاحظتها في هذا الموضوع، فأحياناً نجد الشعراء يُكرِّرون بعض الحروف مثل: "لو"، والضمائر: "أنت"، والأفعال "قلت، قال"، وكذلك الأسماء "ضيف"، ونجد المعاني أيضاً تتكرر على نحو ما أشرنا إليه في الدراسة الموضوعية، ومن الأمثلة على التكرار قول الشاعر (71):

إِذَا كَانَ يُزْرِي كُلُّ ضَيْفٍ بِضَيْفِهِ      فَإِنِّي بِضَيْفِي حِينَ يَفْدِمُ أَفْرَحُ  
وَذَاكَ لِأَنَّ الضَّيْفَ يَأْتِي بِرِزْقِهِ      فَيَأْكُلُهُ عِنْدِي وَيَمْضِي فَيَمْدَحُ

فكرّر مفردة "الضيف" في التثنية أربع مرّات، ولا شك في أنّ للتكرار قيمة كبيرة يظهر من خلالها التأكيد على ضرورة إكرام الضيف واحترامه، وهذا ما أكد عليه الشاعر من خلال حسن استقباله وإطعامه والإحسان إليه دون التبرم في وجهه، وبذلك يكون قد نال مدحه وتناءه.

ووظّف الشعراء الجناس على نحو ضيق قياساً مع الطباق، ومن الأمثلة على ذلك قول أحدهم (72):

طَفَقْتُ تُؤْبِنِي عَلَى الْبَذْلِ      وَتَقُولُ: نِعْمَ سَجِيَّةُ الْبُخْلِ  
قَدْ أَصْبَحَ الْبُخْلَاءُ فِي شَرَفٍ      وَبَقِيَتْ فِي شِظْفٍ فِي أَرْزُلٍ

فقد جانس الشاعر بين: "بذل، بخل"، و "شرف، شظف".

### 3. الصورة الفنية

استخدم الشعراء الذين قمت بدراسة أشعارهم التصوير البياني في التعبير عن مشاعرهم للكشف عن المظاهر السلبية لظاهرة البخل، وذلك بهدف هجاء البخلاء والتنفير منهم، ولذا نجدهم يستمدون صورهم وتشبيهاتهم من الأشياء التي وصفوها وانبروا لها بالهجاء.

ومن خلال الوقوف على النصوص الشعرية نجد أن الصور المستوحاة تراوحت ما بين التشبيه المفرد والاستعارات، فقد لجأ الشعراء إلى تشخيص الجمادات، وبعثوا فيها الحياة حتى تكون الصورة أعمق أثراً وأكثر وضوحاً وأعلق في الأذهان، كما أنهم عمدوا إلى التواصل بالتراث من أجل استحضار الشخصيات الدنية أو التاريخية أو الأدبية المعروفة حتى تكون صورهم أكثر حياة، وتكون مفعمة بروح الدعابة والظرافة.

تجدر الإشارة إلى أنّ بعض الصور لا تخرج عن الإطار التقليدي في التشبيه وبخاصة في التشبيه المفرد أو التمثيلي، غير أنّ بعضها جاء مبتكراً وبخاصة تلك الصور المستمدة من التراث الديني. ومن الأمثلة على التشبيه المفرد قول أبي بكر المخزومي في وصف بني سعيد مستمداً صورته من عالم الحيوان حتى تكون الصورة الهجائية أعمق أثراً وأشدّ إبداعاً للمهجو (73):

أَعْطَيْتُمْ نَزْرًا عَلَى طُولِ الْمَدَى      وَيَقُولُ وَغَدُ: إِنَّهُ لَكَثِيرُ  
وَلَشَدَّ مَا عَرَضْتُ مُؤْنِي لِلْعَنَا      فَرَسٌ عَتِيقٌ عَاشِرْتُهُ حَمِيرُ  
فَإِذَا صَهَلَتْ غَدَا النَّهَاقُ مُجَاوِي      يَا رَبِّ أَنْتَ عَلَى الْخَلَاصِ قَدِيرُ

ففي هذه اللوحة يصوّر خيبة الأمل في الحصول على العطاء، ويصفهم بأنهم كثيرو المماثلة، عديمو الوفاء بالوعد، قليلو العطاء، وهو في رأي أحدهم شيء كثير، ثم يُمعن في الهجاء واصفًا نفسه بالفرس وإياهم بالحمير، وهذا من أقبح الأوصاف وأشنعها، جاعلاً شعره الذي يصدح به في مقام سهيل العتاق من الخيل، والزرُّ عليه أشبه ما يكون بنهاق الحمير، ويدعو ربّه أن يُخلّصه منهم.

ومن جميل الصور الطريفة قول يحيى بن حكم الغزال في محاربة التسوّل والإلحاح في السؤال بقوله (74):

قُلْتُ إِذْ كَرَّرَ الْمَقَالَءَ: يَكْفِي  
أَنْتَ أَوْلَى بِدِرْهَمِي أَمْ عِيَالِي؟  
لَسْتُ مِمَّنْ يَكُونُ يَخْدَعُهُ مِثْلَكَ  
فَمَا عَلِمَ، بِهِ هَذِهِ الْأَقْوَالِ  
مَا أُوْدِي الزُّكَاةَ إِلَّا كَمَا  
يُعَصَّرُ زَقٌّ مُعَسَّرٌ بِالْحَبَالِ

فالشاعر -هنا- برع في الإتيان بتشبيهه عجيب في البيت الأخير، كاشفًا أنّه لا يؤدّي الزُّكَاةَ إلّا بعد جهد ومشقة؛ لأنّه لا مال لديه بحيث توجب عليه الزُّكَاة، ولو فعل ذلك لكان كالذي يعصر قربة العسل بكلّ ما أوتي من قوّة ليستخرج ما تبقي فيها، وهذا هو حاله في إخراج الزُّكَاة إذ إنّها لا تجب عليه؛ كونه لا يجمع طوال العام المال الكافي الذي تجب فيه الزُّكَاة.

وقد اتكأ السُّمَيْسِر (ت480هـ) يتكئ على الموروث الديني في رسم صوره السّاخرة من البخلاء، ومن ذلك قوله في ذمّ أبي

الحسن العامري (75):

حَادَ عَنْ بُخْلِ عِلْيٍّ  
تَلُوكَ فِي الْعَالَمِ نُذْرَةٌ  
فَهِيَ كَالنَّارِ اغْتَرَّتْهَا  
عَصْرٌ إِبْرَاهِيمَ قِرَّةٌ  
جَادَ نَزْرًا فَقَبْلًا  
دِرْهَمُ السَّاقِطِ بَذْرَةٌ  
عَجِبَ النَّاسُ وَقَالُوا  
كَيْفَ نِيَأْتِ مِنْهُ ذَرَّةٌ؟  
هَلْ رَأَيْتُمْ بَعْدَ مُوسَى  
أَحَدًا فَجَرَّ صَخْرَةً؟

في هذه المقطوعة إلماعان: الأولى إشارته إلى نار سيّدنا إبراهيم -عليه السلام- التي نجا منها بقدره الله عزّ وجلّ، وصارت عليه بردًا وسلامًا، وكأنّه يلمح ساخرًا من أبي الحسن الذي حاد قليلاً عن صفة البخل المتأصّلة في نفسه، وهذه إحدى العجائب والمعجزات التي لا تقع إلّا في النادر، ولهذا سخت نفسه وجاد بدرهم حقير، غير أنّ هذا الدرهم يساوي عشرة آلاف درهم عنده، فكان فعله هذا معجزة أشبهت معجزة أبينا إبراهيم.

والإلماع الثانية جاءت كذلك إتفاقًا مع واقع الحال، فأشار إلى معجزة سيّدنا موسى -عليه السلام- وتفجّر المياه من الصخر حينما ضربه بعصاه، ويأتي ذلك بالإشارة إلى سؤال الناس الذين استغربوا ذلك الفعل، فمن المستحيل أن يوجد أبو الحسن، ومن المستغرب حقًا أن تُقلت منه ذرّة، وهو في الأساس صخرة.

ويستحضر ابن عبد ربه صورة عصا سيّدنا موسى عليه السلام في رسم صورته، يقول (76):

صَحِيفَةٌ كَتَبَتْ لَيْتَ بِهَا وَعَسَى  
عُنْوَانُهَا رَاحَةُ الرَّاجِي إِذَا يَسَا  
وَعَدُّ لَه هَاجِسٌ فِي الْقَلْبِ قَدْ بَرِمَتْ  
أَحْشَاءُ صَدْرِي بِهِ مِنْ طَوْلِ مَا هَجَسَا

يراعة غرني منها وميض سناً  
فصادفت حبراً لو كنت تُصربه  
كأنما صيغ من بخلٍ ومن كذبٍ  
كلبٌ يهرُّ إذا ما جاء زائرُهُ  
حتَّى مَدَدْتُ إليها الكفَّ مُقْتَبِسا  
مِنْ نُومِهِ بعضا موسى لما انبجسا  
فكانَ ذاكَ له روحًا وذا نفسًا  
حتَّى إذا جاء مُهْدِي تُحْفَةٍ نَبِسا

تتَّشَّح الصُّورة في هذه اللُّوحة بمظاهر الحزن واليأس، فقد استهلها بالحرف "ليت" الذي يدلُّ على التَّمَنِّي، والفعل "عسى" الذي يحمل معنى الرَّجاء، ليكشف عمَّا يجول في صدره من انقطاع الأمل في الرَّجاء نتيجة للوعود الكاذبة التي انتظرها من زمن بعيد، فقد عاش حياة مملوءة بالهواجس، مبنية على الأوهام الكاذبة، فقد غرته الأمانى ببريقها الخُلب الكذاب، ومدَّ يده ليقْتبس النُّور من سناها الرِّائف، ويستحضر في الوقت نفسه صورة عصا موسى لتتدخَّل في المشهد، غير أنَّ المُعجزة لم تحدث ولم يتعجَّر الصَّخر البتَّة، ولهذا جاءت الصُّورة معكوسة، فلم ينبجس البخل عطاء على نحو ما انبجس الصَّخر ماءً. ويستمر في عرض المشهد منتقلًا إلى البخل الذي صوِّره بأنَّه مخلوق من البخل والكذب، لتُشكِّل الصِّفتان معًا روحه ونفسه، وصوِّر ذلك البخل بكلب يعوي ويكثير عن أنيابه كُلمًا مرَّ به شخص غريب، ويظهر هذا الوصف عدم رغبة ذلك البخل في استقبال من يطرق بابه من الصِّيفان.

#### نتائج البحث:

1. من خلال استقراء الأشعار تبين للباحث أنَّ الشعراء كانوا ناقلين على أصحاب النُّفوذ والمال، وهذا ما دفعهم إلى هجائهم والنيل منهم، والتعريض بما فيهم من بخل، وخلال سيئة.
2. راح الشعراء في موقفهم من البخل، فمنهم من آمن به ودافع عنه وهم قلة، ومنهم من نبذه ووقف منه موقفًا معاديًا، وهذا موقف جأهم.
3. ظهر للباحث أنَّ أكثر النَّاس بخلًا هم الأثرياء وأصحاب الجاه من رجالات الدَّولة، وهذا ما دفع الشعراء إلى النيل منهم.
4. عانى الشعراء من المطل والتسويق والوعود الكاذبة من الممدوحين، وكشفت أشعارهم عن نفوس حزينة يائسة، وتخللت أشعارهم شكوى مريرة من الخُلف.
5. أكثر الشعراء من رسم صور كاريكاتورية ساخرة للبخلاء، فكشفوا عن سوء طباعهم، وحبهم الجَمِّ للمال، وبخلهم الشَّديد، وقد اتَّكأ الشعراء في رسم تلك الصور على الموروث الديني والتاريخي في تصوير أولئك البخلاء.
6. كان ابن عبد ربه من أكثر الشعراء الأندلسيين حديثًا عن البخل.
7. أغلب الشعر الذي قيل في البخل جاء على شكل مقطعات ووقف شعريَّة.

#### الهوامش:

- (1) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة 186/1.
- (2) ابن بسام، الذخيرة 116-115/4.
- (3) المقري، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب 223/1.
- (4) المقري، نفع الطيب 224/1.
- (5) ابن بسام، الذخيرة 103/4+451/1، ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب 14/2.

- (6) المقري، نفح الطيب 363/3.
- (7) ابن بسام، الذخيرة 643/1.
- (8) العماد الأصفهاني، خريدة القصر 536/3، ابن خاقان، قلائد العقيان 874.
- (9) المقري، نفح الطيب 205/3.
- (10) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب 93/1.
- (11) ابن سعيد، المغرب 231/1.
- (12) ابن سعيد، المغرب 231/1.
- (13) ابن سعيد، المغرب 231/1.
- (14) ابن عبد ربه، الديوان رقم 79 (78)، ابن خاقان، مطمح الأنفس 270، الضبي، بغية الملتمس 149.
- (15) ابن الحداد الأندلسي، الديوان 184 رقم (12).
- (16) العماد الأصفهاني، خريدة القصر 144/2، ابن خاقان، قلائد العقيان 406.
- (17) العماد الأصفهاني، خريدة القصر 144/2، ابن خاقان، قلائد العقيان 404.
- (18) العماد الأصفهاني، خريدة القصر 145/2، ابن خاقان، قلائد العقيان 407 البيت 4: "يشتعل".
- (19) هدى شوكت بهنام، دواوين شعرية لشعراء أندلسيين 245، المقري، نفح الطيب 589/5.
- (20) هدى شوكت بهنام، دواوين شعرية لشعراء أندلسيين 257، المقري، نفح الطيب 545/5.
- (21) ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة 221/2.
- (22) البغدادي، خزنة الأدب 247/9.
- (23) ابن بسام، الذخيرة 92/3.
- (24) الكتاني، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 254+253.
- (25) ابن الأبار، الديوان 102 رقم (40).
- (26) الجزار السرقسطي، الديوان 81-80.
- (27) ابن عبد ربه، الديوان 116 رقم (162).
- (28) المقري، نفح الطيب 543/2.
- (29) المقري، نفح الطيب 543/2.
- (30) المقري، نفح الطيب 543/2.
- (31) العماد الأصفهاني، خريدة القصر 114/1.
- (32) العماد الأصفهاني، خريدة القصر 70/1.
- (33) المقري، نفح الطيب 121/3.
- (34) ابن بسام، الذخيرة 684/3.
- (33) الكتاني، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 252.
- (36) يحيى بن الحكم الغزال، الديوان 27 رقم (1).
- (37) الكتاني، التشبيهات 253.
- (38) ابن عبد ربه، الديوان 41 رقم (1).
- (39) اقتباس من قوله تعالى: "وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء" سورة البقرة، الآية 74.

- (40) اقتباس من قوله تعالى: "وأوحينا إلى موسى إذ استسقاها قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانجست منه اثنتا عشرة عينا" سورة الأعراف، الآية 160.
- (41) ابن عبد ربه، الديوان 49 رقم (21).
- (42) ابن خاتمة، الديوان 235.
- (43) ابن عبد ربه، الديوان 86 رقم (94).
- (44) الكتاني، التشبيهات 257.
- (45) ابن عبد ربه، الديوان 149-150 رقم (236).
- (46) الكتاني، التشبيهات 255.
- (47) ابن حيان، المقتبس 175-176، الكتاني، التشبيهات 235 البيت 2: "نحر"، "دارجة". البيت 3: "ولو"، "نزلت".
- (48) الكتاني، التشبيهات 253.
- (49) ابن الخطيب، الإحاطة 451/3 وأورد الأبيات (1، 2، 4)، المقري، نفح الطيب 111/6.
- (50) ابن خاتمة، الديوان 157 رقم (147).
- (51) ابن خاتمة، الديوان 154 رقم (137).
- (52) الصفدي، الوافي بالوفيات 299/13، المقري، نفح الطيب 297/4 البيت 1: "تمسكه".
- (53) محمود العامودي، شعر السُّميسر، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد التاسع، العدد الثاني 486 رقم (45).
- (54) المقري، نفح الطيب 464/3.
- (55) المقري، نفح الطيب 481/3.
- (56) المقري، نفح الطيب 490/2.
- (57) المقري، نفح الطيب 330/4.
- (58) الكتاني، التشبيهات 253.
- (59) ابن الأبار، الديوان 102 رقم (40).
- (60) المقري، نفح الطيب 682/2، الرعيني، طراز الحلة وشفاء الغلة 304.
- (61) ابن عبد ربه، الديوان 41 رقم (11).
- (62) الكتاني، التشبيهات 253.
- (63) الثعالبي، ثمار القلوب 309.
- (64) ابن خاتمة، الديوان 156-157 رقم (146).
- (65) ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة 221/2.
- (66) ابن الخطيب، الإحاطة 143/4، المقري، نفح الطيب 422/5.
- (67) مسلم بن الحجاج، الصحيح 2027/4.
- (68) ابن الخطيب، الإحاطة 451/3، المقري، نفح الطيب 111/6.
- (69) ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة 107.
- (70) ابن بسام، الذخيرة 92/3.
- (71) العماد الأصفهاني، خريدة القصر 142/2، ابن خاقان، قلاند العقيان 406.
- (72) العماد الأصفهاني، خريدة القصر 145/2، ابن خاقان، قلاند العقيان 457.



- (73) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب 1/231.  
 (74) يحيى بن الحكم الغزال، الديوان 72 رقم (53).  
 (75) محمود العامودي، شعر السُميسر، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد التاسع، العدد الثاني 479 رقم (24).  
 (76) ابن عبد ربه، الديوان 49 رقم (21).

### المصادر والمراجع

#### القرآن الكريم

- ابن الأبار، محمد بن الأبار البلنسي (1985): **الديوان**، قراءة وتعليق: الدكتور عبد السلام الهراس، الدار التونسية للنشر.  
 الأصفهاني، عماد الدين محمد (1986): **خريدة القصر وجريدة العصر (1-3)** (ج1): تحقيق: محمد المطوي، وآخرون، الدار التونسية للنشر، تونس.  
 (ج2+3): تحقيق: آدرتاش آدرنوش، نقحه وزاد عليه: محمد المطوي، وآخرون، الدار التونسية للنشر، تونس.  
 ابن بسام، علي بن بسام الشنتريني (2000): **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (1-4)**، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت.  
 البغدادي، عبد القادر بن عمر (1998): **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (1-13)**، تحقيق: محمد نبيل طريفي، إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت.  
 بهنام، هدى شوكت (2012): **دواوين شعرية لشعراء أندلسيين، عمّان-الأردن**: دار غيداء للنشر والتوزيع.  
 التونجي، محمد (1993): **ديوان ابن عبد ربه الأندلسي مع دراسة لحياته وشعره**، دار الكتاب العربي، بيروت.  
 الثعالبي، عبد الملك بن محمد (2003): **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت.  
 الجزائر السرقسطي، يحيى بن محمد (2002): **الديوان**، تقديم وتحقيق: العربي سالم الشريف، ليبيا: دار شموع الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع.  
 الخميدي، محمد بن فتوح (1952): **جذوة المقتبس في نكر ولاية الأندلس**، قام بتصحيحه وتحقيقه الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، مطبعة السعادة، القاهرة.  
 ابن حيان، حيان بن خلف (1995): **المقتبس من أنباء أهل الأندلس**، حقّقه وقَدّم له وعلّق عليه: الدكتور محمود علي مكي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.  
 ابن خاتمة، أحمد بن عليّ الأنصاري (1994): **الديوان**، حقّقه وشرحه وقَدّم له: الدكتور محمد رضوان الداية، بيروت: دار الفكر المعاصر.  
 ابن خاقان، الفتح بن محمد (1989): **قلائد العقيان ومحاسن الأعيان (1-4)**، حقّقه وعلّق عليه: الدكتور حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار، الزّرقاء-الأردن.  
 ابن خاقان، الفتح بن محمد (1983): **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**، دراسة وتحقيق: محمد علي شوابكة، عمّان-الأردن: دار عمار، بيروت: مؤسسة الرسالة.  
 ابن الخطيب، لسان الدين (2001)، **الإحاطة في أخبار غرناطة (1-4)**، حقق نصه ووضع مقدمته وحواشيه: محمد عبد الله عنان، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط4.

- ابن الخطيب، لسان الدين (1983): *الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعرا المائة الثامنة*، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة، ط1.
- ابن دحية، عمر بن حسن (د.ت): *المطرب من أشعار أهل المغرب*، تحقيق: إبراهيم الإبياري، وآخرون، دار العلم للجميع، بيروت.
- الرعياني، أحمد بن يوسف (1990): *طرز الخلة وشفاء الغلة* (شرح الخلة السيرافي مدح خير الوري) لابن جابر الأندلسي (780هـ)، حققته وقدمت له: د. رجاء السيد الجوهري، الإسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية
- ابن سعيد المغربي، علي بن موسى (1978): *المغرب في حلى المغرب (1-2)*، حققه وعلق عليه: الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك (2000)، *الوافي بالوفيات*، تحقيق واعتناء: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، المجلد 13.
- الضبي، أحمد بن يحيى بن عميرة (1967): *بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس*، دار الكتاب العربي، القاهرة.
- الطبراني، سليمان بن أحمد (1415هـ): *المعجم الأوسط (1-10)*، تحقيق: طارق بن عوض الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.
- طويل، يوسف علي (1990): *ديوان ابن الحداد الأندلسي*، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1.
- العامودي، محمود (2001): *شعر السُمَيْسِر أبي القاسم خلف بن فرج الإلبيري، جمع ودراسة*، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد التاسع، العدد الثاني، غزة- فلسطين.
- الغزال، يحيى بن حكم (1993): *الديوان*، جمعه وحقَّقه وشرحه: الدكتور محمد رضوان الدايدة، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق.
- الكتاني، محمد بن الكتاني (1966): *كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس*، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.
- مسلم بن الحجاج، أبو الحسين النيسابوري (د.ت): *صحيح مسلم (1-5)*، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- المقري، أحمد بن محمد (1968): *نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب (1-9)*، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

#### قائمة المراجع المرومنة:

- Al Amudi, M. (2001). Shiar al sumaisar abi al qasim khalaf bin faraj al albiri. Poetry of Al Sumisar Abu Qasim Khalaf Ibn Faraj Al Biri (in Arabic) Compilation and Analysis. Islamic University Journal. Volume 9.number 2. Gaza. Palestine.
- Al Baghdadi, A. U. (1998): *Khizanat al Adab wa lub lbad lisan al arab*. Library of literature and door of the heart of the Arab language (1-13). Muhammad Nabil Tarifi, Emil Badi Yaqub Analysis (in Arabic). Scientific Books House. Beirut.
- Al Dabi, A. Y. A. (1967). *Bughiah almltms fi tarikh rjal a'hl ala'ndls*. The purpose of seeker in the history of the men of the people of Andalusia (in Arabic). Dar Al KitabAl Arabi. Cairo.
- Al Humaidi, M.F. (1952) *Jathwat al muqtabas fi thikr wulat al andalus* Flame of quoted in recounting Andalusia ruler (in Arabic). Mohammad Ibn Tawit At Tanji Edited and Investigated. Maktab Nashr Ath Thaqafa al Islamiya. As Saada Printing House. Cairo.
- Al Jazaar Alsarqasti, Y. M. (2002). *Al Diwan*. Introduction and Investigation: Al Arabi Salim As Sharif (in Arabic). Dar Ash Shumu' for Culture Printing and Publication. Libya.
- Al Ghazal, Y.H.(1993). *Al Diwan*. Dr. Muhammad Ramadaan Al Daiya Dr. Muhammad Compilation, investigation and illustration. Dar Al Fikr Al Muasir. Beirut. Damascus.

- Al Kitani, M. K. (1996). *Kitab al tashbihat min ashaar ahl al andalus*. The book of metaphors from the poems of the people of al andalus (in Arabic). Ihsan Abbas. Dar al Thaqafa. Beirut.
- Al Maqri, A.M. (1968). *Nafkh at tiyb min ghusn al andalus al ratib (1-9)*. Spray of perfume from the tender branch of al Andalus (in Arabic). Ihsan Abbas Investigation. Dar Sadir. Beirut.
- Al Ra'ini, A. Y. (1990). *Tiraz al hula wa shifa al ghula (Sharh al hula alsira fi madh khair al wara)*. Best attire and appeasement of temper (Illustration of prophetic biography in the elegy of the best creation (in Arabic) Ibn Jabir Al Andulusi (780 H.) Dr. Raja Al Sayyid Al Juhari Investigation.
- Al Safadi, S. Kh. A. (2000). *Al Wafi bil Wafaiat*. The comprehensive in obituaries (1-2) (in Arabic) Ahmad Arnaut and Turki Mustafa. Beirut. Dar of Revival of Arabic Heritage. 1<sup>st</sup> print. Volume 13.
- Al Tabarani, S. A. (1415 H.). *Al mu'jam al awsat*. The middle dictionary (in Arabic). Tariq Ibn Awad Al Husaini. Dar Al Haramin. Cairo.
- Al Tunji, M. (1993). *Abn Abd rabu Alandalusi with a study of life and poetry (in Arabic) Dar Al Kitab Al Arabi Publishing House. Beirut.*
- Al asfahani, I. M. (1986). *Al Qasr Newspaper and Al Asr Newspaper (1-3)*. Part 1: Muhammad AL Matwi et. al Investigation. Tunis House For Publication. Tunis.
- Bahnam, H. Sh. (2012). *Dawāwīn shi'rīyah li-shu'arā' Andalusīyīn*
- Ibn Abbar, M. B. (1985). *Al Diwan, : Dr. Abid Salam Al Harras, Appraisal and Commentary (in Arabic)*. Tunis House For Publication. Tunis.
- Ibn Bassam, A. B. Sh. (2000). *Al Khizana fi mahasin ahl shibh al jazira*. Library in the beauties of the inhabitants of the Arabian Peninsula (1-4) (in Arabic) Ihsan Abbas Investigation Islamic West- Publication House. Beirut.
- Ibn Dhyh, U. H. (No Date) *Al mutrib min asha'ar ahl al maghrib*. The Joyful poems of the people of Morroco (in Arabic) Ibrahim Al Ibiyari et. al. investigation . Dar Al ilm liljami'. Beirut.
- Ibn Hayan, H. Kh. (1995) *Al muqtabas min anbaa ahl al andalus*. Quoted from the news of the people of Andalusia (in Arabic). Dr. Mahmoud Maki investigation, introduction and commentary. Higher Council For Islamic Affairs, Islamic Legacy Revival. Cairo..
- Ibn Khaqan, F. M. (1983). *Maṭmaḥ al-anfus wa-masraḥ al-ta'annus fī mulaḥ ahl al-Andalus*. The aspiration of the souls and the theater of congeniality in the anecdotes of the people of al-Andalus (in Arabic) Muhammad Ali Shawabkah Analysis and Investigation. Amman. Jordan. Dar Ammar – ArRisala Institute. Beirut.
- Ibn Khaqan, F. M. (1989). *Qlaid Al 'iqan wa mahasin al 'aiyan*. Necklace of rubies and deeds of notables (in Arabic). Dr. Husain Yusif Kharuush Investigation and Commentary. Al Manar Bookstore. Zarqa . Jordan.
- Ibn Khatima, A. A. A, (1994) *Al Diwan*. Dr. Muhammad Ramadaan Al Daiya investigation, analysis and introduction. Dar Al Fikr Al Muasir. Beirut.
- Ibn al-Khatib, L. D. (1983). *Al Katiba Al Kamina fī man laqiynah bi andalus min Sha'ara al ma'a al thamina*. Latent battalion which we met in Andalusia of the one hundred and eight poets (in Arabic) Ihsan Abbas Investigation. Beirut. Dar Al Thaqafa 1<sup>st</sup> print.
- Ibn al-Khatib, L. D. (2001). *Ihata fi Akhbar Gharnata*. Briefing in Granada news (in Arabic). Muhammad Adallaah Anan investigation, introduction and footnotes. Cairo. Al Khanji Bookstore, 4<sup>th</sup> print.
- Ibn Said Al Maghribi, A.M (1978). *Al maghrib fi hala al maghrib*. Morocco in the beauty of Morocco (in Arabic). Dr. Shawqi Daif Investigation and Commentary. Dar Al Ma'arif. Cairo.

Muslim Ibn Hajjaj, A. H.N. (No date). Sahih Muslim. (1-5) Muhammad Fuad Abd Al Baqi investigation. Dar of Revival of Arabic Heritage. Beirut.

Part 2: Athartash Atharnush Investigation (in Arabic), edited and added by Muhammad AL Matwi et. al. Tunis House For Publication. Tunis.

Poetic collections of Andalusian poets (in Arabic). Dar Ghidaa for Publishing & Distribution. Amman. Jordan.

Tawil, Y. A. (1990) Diwan Ibn Al Hadad Al Andalusi. Poems collection of Ibn Al Hadad Al Andalusi (in Arabic). Beirut. Scientific Books House. 1<sup>st</sup> print.

Tha'ālibī, A. M. (2003). Thimār al-qulūb fī al-muḍāf wa-al-mansūb. Heart fruits in the added and related (in Arabic). Muhammad Abu Fadel Ibrahim Investigation. Al Maktabah Al Asriyya. Beirut.

The Holy Quran.